الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
PEOPLE'S DEMOCRATIC REPUBLIC OF ALGERIA

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

INISTRY OF HIGHER EDUCATION AND SCIENTIFIC RESEARCH
KLI MOHAND OULHADJ UNIVERSITY
-BOUIRA-
LEGE OF SOCIAL AND HUMAN SCIENCES

جامعة البويرة

قسم: الفلسفة

أسس فلسفة البيئة المعاصرة عند " أرني نايس"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة العامة

من إعداد الطالبة:

- شلابي شيماء

إشراف الأستاذة :

- د. بايو رابح

السنة الجامعية 2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم

«قالوا سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علمتنا إنّك أنت العليم الحكيم»

سورة البقرة/الآية 32.

شكر وتقدير

نشكر الله عز وجل على توفيقه لنا في إتمام هذا العمل

أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى الأستاذ المشرف "بايـــــــو رابـــــــح"

الذي أشرف على هذا العمل وتابعه منذ بدايته إلى غاية نهايته

والذي قدم لي يدّ العون والمساعدة بتوجيهاته القيّمة التي أنارت لنا الطريق في بحثنا هذا.

كما أقدم شكري إلى كل أساتذتي الأفاضل الأكارم

خابر- نابت- سليماني- غانم - مشاط- بعنون

في قسم الفلسفة بجامعة البويرة

وأقدم شكري إلى كل من ساهم من بعيد أو من قريب ولو في وضع بصمة صغيرة ساعدنا في إتمام هذا البحث.

إهداء

إلى والديّ العزيزين عرفانا بفضلهما وتقديرا لهما.

والى اخوتي وأخواتي

حفظهم الله ورعاهم.

إلى كل الأهل والأقارب وجميع الرفاق والأحباب...

اهدي عملي هذا

مقدمـــة

فلسفة البيئة (écosophie) هي فرع من فروع الفلسفة العملية، تبحث في الروى الفكرية والأسس الفلسفية التي تبني نظرة الانسان إلى البيئة ومن ثم تحدد علاقته بها، أي بين الانسان والبيئة أو الطبيعة المتواجد فيها، تلك العلاقة التي اتسمت غالبا بالدياليكتيك وفق التعبير الهيجلي كما اتسمت أيضا بالتناسق أو الهرمونيا وفق التوصيف الاغريقي، لذلك نجد عدة مقاربات تحدد نظرتنا للبيئة منها الايتيقية والجمالية البرغماتية، فنجد أخلاقيات البيئية وعلم الجمال البيئي والإيكولوجيا، لكن الايكوصوفيا، هذا التوجه الفكري ظهر بشكل ملفت في العقود الأخيرة من القرن العشرين خاصة وتصاعد الأزمة البيئية جراء تفاقم ازمات العلم والتقنية الحديثة، فالبيئة هي المكان الذي احتضن الإنسان منذ وجوده على سطح كوكب الأرض، لكن هذا المكان طرء عليه تغيير جذي ما يهدد وجود الانسان على الارض، كما أن فلسفة البيئة تتقاطع وتتداخل مع الكثير من فروع العلم المعاصر والأمر لا يقتصر هنا على علم البيئة واتساع قضاياه، بل تتداخل_مع التقدم العلمي في فروع العلم المختلفة كالطب والجيولوجيا والهندسة الوراثية وعلوم أخرى كثيرة.

ان فلسفة البيئة في عصرنا هذا أشبه ببؤرة يتعلق حولها ويتقاطع معها عدة فروع للفلسفة وعدة فروع للعلم على حد سواء، ذلك أنها هي الفرع الجديد في الفلسفة الذي يدرس ما ينبغي أن يكون عليه تعامل الإنسان مع البيئة الطبيعية وهذه صياغة أو تعريف مثالي لفلسفة البيئة وكأنها فلسفة معيارية كالأخلاق والجمال، لكن الحقيقة أن فيلسوف البيئة مطالب أكثر من كل الفلاسفة المعنيين بالفلسفات المعيارية الأخرى، فهو مطالب بالاهتمام بقضايا ومشكلات البيئة الواقعية والتي تتسم بالتجديد المستمر تبعا لما يخلفه التقدم العلمي للإنسان واتجاهات سيطرته على البيئة وتحفزه الدائم للسيطرة عليها وتسخيرها، لتحقيق آماله وأحلامه التي لا تتوقف في اطراد الرفاه والتقدم والسعادة المادية .

إن الاهتمام بالبيئة وقضاياها قديم قدم الإنسانية، إذ انه لا شك في أن الإنسان ما أن وجد على هذه الأرض وبدأ تعامله معها ومع كائناتها وبيئته المحلية التي وجد فيها بدأ

اهتمامه بهذه البيئة، وبعدما كانت قاهرة له إلا أنه نجح في ترويضها وترويض كائناتها الأدنى حتى تمت له السيطرة المبدئية على هذه البيئة وتلك الكائنات، فأسس حضارته عليها وظهر أثر عمرانه المدني في كل ركن من أركانها وبدأ حياته فيه، وهذه الفكرة كانت سائدة في الفلسفة الغربية وبالتالي دفعتنا إلى افتراض نمط جديد من الفكر، ما ادى من بين أشياء أخرى، بفضل عمل فلاسفة البيئة من بينهم ***أرني نابيس*** *Arne Naess* الذي دافع عن البيئة من خلال نقده اللاذع لفكرة المركزية البشرية في البيئة التي ورثناها من التراث الحداثي .

اذن الإنسان صانع حضارته عبر بيئته الطبيعية التي وجد فيها مستخدما إمكانياتها ومواردها دون أن ننسى كائناتها، أن الإنسان الذي نجح في تعمير الأرض واستنفاد مواردها واخراجها والاستفادة منها موردا بعد آخر حتى كاد الآن أن يستثمر كل هذه الموارد، بل كاد أن يستنفد كل هذه الموارد سواء على ظهر الأرض أو باطنها.

فالإنسان صانع المعجزات ومبدع العلم والتكنولوجيا التي ظلت تتطور شيئا فشيئا حتى أصبحت حياته مهددة بالقضاء عليها وتدمير مواردها بشكل شكّل ذلك العداء الظاهر بين الإنسان والبيئة وتخلف عنه هذه المشكلات البيئية التي استوجبت ظهور المذاهب الفلسفية البيئية التي تدعو إلى التوازن البيئي والحفاظ على مواردها، والداعية إلى مركزية الطبيعة بدلا من مركزية الإنسان، الداعية إلى احترام الطبيعة واحترام حقوق الحيوان والنباتات والجمادات، فكلها كائنات طبيعية لها حقوق مثلما للإنسان حقوق في هذه البيئة الطبيعية، لذلك جاء بحثنا بعنوان: **أسس فلسفة البيئة المعاصرة** ، ومتخذين من الفيلسوف النرويجي أرني نابيس نموذجا لهذه الدراسة.

أن شغفنا الشديد بموضوع البيئية كان وراء اختيارنا الغوص في غمار هذا الموضوع، انه ميل عاطفي ذاتي اختلج صدورنا من الصغر عند التعامل مع البيئة والكائنات الحية غير إنسانية، وخاصة النباتات، وكلنا امل في توعية الأفراد بالضرورة المحافظة على البيئية في حياتهم اليومية والتعريف أكثر بها، كما رأينا أن الرهان الحقيقي ليس اسداء نصائح وارشادات تعليمية سطحية فقط وانما الرهان الحقيقي هو تصحيح نمط رؤيتنا للبيئة والبحث في أسس تلك النظرة ومن ثم تغيير السلوك والذهنيات، كما ان هناك دافع اكاديمي محض، وهو اثراء الكتابات العربية في موضوع البيئة، وتعزيز الجانب المعرفي عند الباحثين في هذا المجال، واثارة النقاش الفلسفي المتعلق بنقد النظرة الكلاسيكية للبيئة والطبيعة، فكلما كان الاهتمام بمثل هذه المواضيع الحساسة أكاديميا كان هناك القدر الكافي من الإفادة والاستفادة منها.

ولا أخفي سرا إذا قلت أن ولعي الشديد للبيئة والنباتات في حياتي اليومية كانت تمطرني بعديد التساؤلات المتعلقة بالبيئة ورهاناتها، مع آملي مستقبلا من خلال بحثي هذا والذي سيكون بوابة في أن أكون ناشطة بيئوية تسعى لتقديم التغيير من أجل الحفاظ على قيمة الأرض والكائنات الحية الموجودة فيها تحت شعار الكائنات جميعها بما فيها الإنسان تتساوى من حيث المبدأ في الحق في الحياة.

إن مواضيع فلسفة البيئة هي معاصرة جدا، لذلك إذا بحثنا في الدراسات والادبيات الفلسفية العربية التي بحثت في هذا الموضوع نجدها قليلة جدا مقارنة مع نظيراتها في الدول الغربية، وخاصة الدراسات الي تتعلق بفيلسوف "***الايكولوجية العميقة***" ارني نايس، الذي لا نجد له بالكاد دراستين على الأكثر ونذكر منها:

دراسة التي قامت بها الدكتور وجدي خيري نسيم، بعنوان **الإيكولوجيا العميقة عند أرني نايس** ، وهو عبارة عن مقال ورد في مجلة الآداب، هذا المقال الذي طرح عدة

تساؤلات متعلقة بالايكوصوفيا ورهاناتها الأخلاقية لكنه لم تكن بالقدر الكافي الذي يتطلب الإلمام بالموضوع.

كما نجد دراسة للطالبة نقيطة نعيمة من جامعة وهران قسم الفلسفة وهي مذكرة لنيل شهادة ماجستير فلسفة بعنوان ***البيئة والفلسفة،*** حيث تم التركيز على بعض المفكرين مثل راشيل كارسون وروجر سيكروتون لكنها لم تتطرق لأهم فيلسوف بيئي معاصر في نظرنا، وهو ارني نايس، ولعل هذا الإهمال ما أدى بنا للغوص في هذا الموضوع.

كما هناك دراسة قيمة للدكتور مصطفى النشار جمعت في كتاب بعنوان مدخل إلى فلسفة البيئة والمذاهب الإيكولوجية المعاصرة، في هذا الكتاب عبارة عن عرض تحليلي لتطور الفكر البيئي واهم اشكالاته الفلسفية لكن لم يتم التركيز على صاحب الايكولوجية العميقة بما فيه الكفاية ، وهذا النقص الذي نحن بصدد سدّه.

ومن خلال طرحنا لهذا الموضوع والتأمل في حيثياته يمكن التأسيس للإشكالية التالية:

ماهي الأسس فلسفية التي قامت عليها الايكوصوفيا عند ارني نايس؟

وتحت هذه الإشكالية نطرح عدة تساؤلات هي بمثابة الخط الهادي لفروع بحثنا منها:

ماذا نقصد بالايكوصوفيا أو فلسفة البيئة؟ وهل هناك حاجة فلسفية ملحة لقيام ايكوصوفيا جذرية تعنى بإعادة تأسيس علاقتنا الوجودية بالطبيعة؟

ماهي الأسس والمرجعيات الي قامت عليها ايكوصوفيا ارني نايس، وهل تجاوزت الحركات البيئية السابقة من حيث أصالة الطرح والحلول المرجوة والافاق التي تفتحها؟

وهل يمكن تأسيس لإيتيقا بيئية، وفق طرح نايس، اخلاق جذرية تعيد الانسجام والتوافق والأُلفة بين الانسان والبيئة؟ وهل هذا الطرح واقعي ام طوباوي؟

ولمعالجة هذه الاشكالية اعتمدنا في بحثنا على المنهج النقدي التحليلي، تحليل بعض المفاهيم والتيارات الفلسفية في هذا الشأن ومنها فلسفة نايس، كما قمنا بنقدها وتفكيكها وفق مقاربتنا للإشكالية واهداف البحث، كما استندنا أيضا في بعض المراحل على المنهج المقارن تجلى ذلك في بيان الفرق بين الإيكولوجيا العميقة والإيكولوجيا السطحية.

وللإجابة على معظم التساؤلات المطروحة قمنا بتقسيم بحثنا الى ثلاث فصول وكل فصل يحوي على مباحث، أما عن الفصل الأول فجاء بعنوان فلسفة البيئة بين التأسيس والتطور، تضمن على ضبط للمفاهيم والتصورات المتعلقة بفلسفة البيئة ثم تطور الفكر البيئي بين العلم والفلسفة أي بين الايكولوجيا والايكوصوفيا ومناطق التماس بين التخصصين ثم تناولنا بالنقد والتحليل الاتجاهات المعاصرة في فلسفة البيئة.

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان فلسفة البيئة عند أرني نايس، في هذا الفصل قمنا بإنشاء بإبراز الخلفية الميتافزيقية لليكوصوفيا عند نايس وهي خلفية لاهوتية مسيحية، ثم ولجنا لاهم مفهوم عند نايس وهو الايكولوجيا العميقة وتمييزها عن السطحية ثم تطرقنا الى إعادة التأسيس لنظرة الانسان الايكولوجية ببنائها على مملكة العاطفة بدل العقل، فالعقل لتفسير الطبيعة، أما الحياة العاطفية لفهم الكائنات الحية.

وأخيرا في الفصل الثالث الذي جاء بعنوان: امتدادات فكر نايس في الفكر المعاصر، تناولنا في المبحث الأول، قيمة فكر ارني نايس ومزايا فلسفته، أما المبحث الثاني والأخير فكان يتضمن عنوان: نحو أخلقة الطبيعة أو إيتيقا البيئة جديدة، وهي بمثابة الافاق التي تحملنا اليها فلسفة نايس البيئية.

وفي الأخير يمكن القول ان هذا الموضوع بالغ الأهمية من خلال اصالة الطرح عند نايس أو من خلال جدية وراهنية الموضوع، الذي يشغل الان الساحة الفكرية الغربية، انطلاقا من ذلك واجهتنا عدة صعوبات اثناء بحثنا هذا، منها ندرة الكتابات الاكاديمية في

هذا الموضوع، ونقص الدراسات خاصة باللغة العربية نظرا لحداثة الموضوع، وأيضا قلة المصادر سواء المترجمة أو غير المترجمة كانت اكبر عائق في انجاز البحث، فارني نابيس لن تجد له كتابا مترجما للغة العربية رغم انه ترجم لعديد اللغات منها الفرنسية والانجليزية ، ناهيك عن ضيق الوقت المنوح لنا كان عائقا للإلمام بكل جوانبه وحيثياته، اضف الى ذلك الوضع الصحي الوبائي (كوفيد 19) في بداية السنة الدراسية.

الفصل الأول

المبحث الأول/ ضبط المفاهيم والتصورات

1/ مفهوم البيئة:

لغة/ البيئة في اللغة هي المنزل والحالة[1]، ويعود الأصل اللغوي لكلمة البيئة في اللغة العربية الى الجذر "بوأ" الذب أخذ منه الفعل الماضي " باء" ويقول صاحب " مختار الصحاح": إن أصل اشتقاق كلمة بيئة وهو" بوأ" و "تبوأ"، وقال ابن منضور في " لسان العرب": باء الى الشيء يبوء بوئا أي رجع، وتبوأ أي نزل وأقام وبوأتك بيتاً أي اتخذت لك بيتا، وقيل تبوّأه أي أصلحه وهيّأهُ أباءه منزلا، وبوّأه إياه، وله، وفيه، بمعنى هيّأهُ وأنزله ومكّن لهُ فيه، ويقال بوأت زيدا مكانا وبوأت لزيد مكانا.

والاسم: البيئة والباءة والمباءة: يعني المنزل، والمبوأ الملزوم، ومنه بوّأه الله منزلا أي ألزمه إياه وأسكنهُ.[2]

إذن البيئة لغويا تعني المكان أو المنزل الذي ينزل به الكائن الحي ويتخذ منه مقاما، فهي إذن ما يحيط بالكائن الحي، وقد أشار القرآن الكريم الى هذا المعنى اللغوي للبيئة في أكثر من آية من آياته الكريمة، فقال الله تعالى: " *وبوّأكم في الأرض تتخذون من سُهُولها قصورًا وتنحتوُن الْجبال بُيوتاً* " (الأعراف 74).

ويقول عزّ وجل ايضاً: " *وكذلك مكّنا ليوسف في الأرض يتبوأُ منها حيثُ يشاءُ.*" (يوسف 56).

ويقول أيضاً: " *وأوْحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا* " (يونس 87)

أما في اللغة الأجنبية environment وتعني الجال الحيوي، المحيط، والوسط الحي

اصطلاحا/ أما المعنى الاصطلاحي للبيئة فيطلق على " *مجموعة الأشياء والظواهر المحيطة بالفرد والمؤثرة فيه* " ، حيث نقول: البيئة الطبيعية أو الخارجية والبيئة العضوية أو الداخلية،

[1] . جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، المجلد الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، ص 220.

[2] . ابن منظور، **لسان العرب**، اعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، ص 284.

والبيئة الاجتماعية، والبيئة الفكرية، قد عبر عن ذلك كلود برنار (Claude Bernard) بقوله هناك بيئتان تؤثران في الكائن الحي، الأول هي البيئة الكونية أو الخارجية والثانية هي البيئة العضوية أو الداخلية، وتطلق البيئة بهذا المعنى على الزمان والمكان من جهة، وهما اطاران محيطان بالظواهر الطبيعية والبيئة هنا مرادفة للوسط حيث يقال فلان في وسط القوم أي بينهم.[1]

2/ مفهوم علم البيئة أو الايكولوجيا:

الايكولوجيا: إن مصطلح علم البيئة Ecology مشتق من الكلمة الإغريقية (oiko) التي تعني مسكن، و(oyia) معناها دراسة او علم ويقصد به ذلك العلم الذي يعنى بدراسة العلاقات الرابطة بين الكائنات الحية وبيئتها، والمتمثلة بعلاقة الكائنات الحية مع بعضها البعض أو مع مكونات البيئة غير الحية لتي تعيش فيها من جهة أخرى، ويهتم المختصون بمجال علم البيئة بدارسة التنوع بين الكائنات الحية وبتوزيعها الجغرافي وبأعدادها وتكاثرها، فضلا عن الاهتمام بطبيعة العلاقات التي تربطها مثل المنافسة والتكافل والتطفل والافتراس.[2]

إن علم البيئة علم متداخل العارف يجمع بين علم الحياة (Biology) وعلم الأرض (Earth science) وتجدر الإشارة الى ان اصطلاح علم البيئة ليس مرادفا لمصطلح البيئة (environnement) أو العلوم البيئية (Environnemental science) أو التاريخ الطبيعي فتلك مجالات علمية أخرى لها نهجها الخاص.[3]

---

[1] . جميل صليبا، مرجع سابق، ص 200، 221.

[2]. د، شكري إبراهيم المحسن، **مقدمة في علم البيئة ومشكلاتها**، منشورات كلية الآداب جامعة البصرة، العراق، ط1، 2017، ص 17

[3]. نفسه. ص 14.

ويمكن إضافة تعاريف لعلم البيئة، ونذكر في هذا الصدد **ألآن بومبارد** " الذي عرّف علم البيئة بانه دراسة التوازن بين جميع الكائنات الحية ولكنه في الوقت ذاته يؤكد على التناقض داخل هذا العلم وذلك لكنونه علما جديدا، ثم يشير في مكان أخر على أن هذه التناقضات ليست أساسية ويمكن التوصل والاتفاق عليها مع مرور الزمن." [1]

وتعرف الايكولوجية او علم البيئة بانها العلم الذي يدرس العلاقات التبادلية بين الكائن الحي والبيئة المحيطة به، أو هو الدراسة العلمية لتوزع وتلائم الكائنات الحية مع بيئاتها المحيطة وللتفاعلات القائمة بين الأجيال كافة وبين بيئاتها، ودراسة تدفقات الطاقة والمادة الموزع في النظام البيئي، كما أن علم البيئة في خلل التوازن البيئي النابع من انقطاع الانسان عن العالم الطبيعي ولذلك لم يعد علم البيئة الان يقتصر على كونه محاولة وضبط العلاقة بين الانسان والبيئة، بل بدا يختص ويدرس كافة القضايا الاجتماعية أيضا، وذلك بدراسة البيئة الإنسانية باعتبارها جزء من علم البيئة وهذه الأخيرة تدرس فضاء الانسان والنشاطات المنظمة منه وفي محيطه .[2]

إن علم البيئة علم واسع وممتد الأفق لذا يتطلب الإلمام به جمع معلومات كثيرة حول الكائنات الحية وظروف بيئاتها فضلا عن مراقبة التفاعلات الجارية وقياسها وفهم الأنماط الناتجة عن ذلك مع محاولة تفسير تلك الأنماط وتعليلها. وينقسم علم البيئة عموما إلى قسمين رئيسين:

1-علم بيئة الفرد Autecologyوعلم ٢بيئة الجماعة Synecology

[1]. محسن محمد امين قادر، **التربية والوعي البيئي وأثر الضريبة في الحد من التلوث البيئي**، رسالة ماجستير، كلية الإدارة والاقتصاد الاكاديمية العربية، الدانمارك، 2009، ص 17.

[2] مصطفى النشار، **مدخل الى فلسفة البيئة، المذاهب الايكولوجية المعاصرة**، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط4، 2017، ص 56.

فأما علم بيئة الفرد المقصود به دراسة فرد أو نوع معين من الكائنات الحية من حيث علاقاته وتفاعلاته بالظروف البيئية المحيط به، وأما علم بيئة الجماعة فيعني دراسة جماعة أو مجتمع من الكائنات الحية سواء كانت من النوع نفسه أو لا، وتحليل علاقاتها مع البيئة المحيطة.

يمكن تقسيم علم البيئة إلى تقسيمات ثانوية أخرى منها مثلا على أساس نوع البيئة الطبيعية وذلك بتقسيم إلى علم البيئة المائية Aquatic ecology وعلم البيئة البرية Terrestrial ecology.

مع كل تفرعاتها وعلى النحو التالي:

علم البيئة ينقسم إلى علم البيئة المائية وهذا الأخير نجد فيه 1 علم البيئة البحرية.

2 علم بيئة المياه العذبة.

3 علم بيئة الأنهار.

أما فيما يخص علم البيئة البرية فنجد فيه :1 علم بيئة الحشائش.

2- علم بيئة الغابات.

3- علم بيئة الصحاري.[1]

3[2]/ مفهوم فلسفة البيئة وأهم خصائصها:

باعتبار أن الفلسفة هي العلم بالكليات على حسب تعبير ارسطو، فهي تخضع كل المواضيع للدراسة لذلك ليس هناك مجال للشك مطلقا في أن يكون موضوع البيئة علاقة

[1]. نفسه، ص 18.

بالفلسفة أو أن تكون إحدى موضوعاتها، مع العلم انه كان هناك اهتماما بالغا بالبيئة في الفلسفات السابقة، لذلك نجد ارهاصات لفلسفة البيئة في الفكر القديم واستمر الى غاية الفلسفات الحديثة والمعاصرة، ولأنه لا نستطيع تعريف الفلسفة البيئية.

ان المعنى الاشتقاقي لكلمة ***الفلسفة*** هو محبة الحكمة أما اشتقاق كلمة الإيكولوجي فهو مأخوذ من كلمة ***إيكوس*** بمعنى البيئة أو الوسط المعيشي أدى ذلك إلى اكسابها معنى يرتبط بالبيئة، ومن ثم فنحن أمام هذا الفرع الجديد المضاف مؤخرا إلى اهتمامات التفكير الفلسفي ويمكن تعريفه كما يلي: فلسفة البيئة أو الفلسفة البيئية وهذا ما يؤكد ارتباط الحكمة بالبيئة ويؤكد تلك العلاقة التواصلية بينهما فالحياة لا بد من بيت يؤويها ولا بد لمحبها ان يفكر كيف يرعى هذا البيت ويعمل على حمايته ويساهم في نشر التربية والوعي بضرورة حمايتها والرفق بها، يرتبط ظهور الفلسفة البيئية بظهور مجموعة من المشكلات العالمية في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين وحقيقة الأمر ليست المشكلات نفسها هي السبب بل كان هناك وعيا عالميا حاول بشتى الطرق مواجهة تلك المشكلات.[1]

ليس من الغريب ان يكون الاهتمام بالبيئة حاضرا في عالم الفلسفة ومجال اشتغال الفلاسفة، وذلك نابع من طبيعة الفيلسوف كإنسان لأن الفيلسوف انسان يعيش واقعه يشعر بوجوده يعي ويتأثر بما يجري من حوله، فقد كان هدف الفلاسفة هو نقل مشكلات البيئة إلى الفلسفة وجعلوا تلك المشكلات في قلب اهتمامهم، وقد تسبب النقاش الفلسفي حول البيئة الى انقلاب فلسفي كبير وثورة كوبيرنيكية من نوع جديد لم يعد الإنسان هو المركز بل الطبيعة، تخلى الفلاسفة عن التمركز حول الإنسان الذي هيمن على الفكر الغربي لفترة طويلة وتجندوا للدفاع عن البيئة وهنا يظهر البعد الأخلاقي والإنساني الذي تمارسه الفلسفة اتجاه البيئة.[2]

---

[1] . نقيطة نعيمة، **الفلسفة والبيئة، راشيل كارسون ، روجر سيكروتون**، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، قسم الفلسفة، 2015/ 2016، ص 20.

[2] . نفسه، ص 21.

ومن جهة أخرى لا يمكن فصل الفلسفة عن البيئة لأن الفلسفة ترتبط ببيئتها الزمانية والمكانية والتاريخية والاجتماعية، نفس الشي نقوله عن البيئة فهي الأرضية التي انتجت الفلاسفة والفلسفة سواء من جهة تأثر الفلاسفة بها وجمال طبيعتها وصفائها وهدوئها أحيانا أو بقوتها وغضبها فأغلب الفلاسفة نفروا من المدينة وضوضائها مفضلين الطبيعة وهدوئها لتكون البيئة مصدرا في ولادة هذا الفرع الجديد اي الفلسفة البيئية وبما ان منهج الفلسفة في جوهره إثارة المشاكل ومحاولة حلها وافادة البشرية بطرحها لقضايا مختلفة تهم الإنسان كإنسان وكان من بين اهتماماتها موضوع البيئة وبذلك ظهرت فلسفة تختص بالبيئة وتحاول النظر إليها نظرة إيجابية وتحاول برآها الأخلاقية والإنسانية المساهمة في التحقيق من مشاكلها قدر ما يمكن[1].

خصائص فلسفة البيئة:

1/ الفلسفة البيئية هي حياتية التوجه: ليست حالة مرضية كما يزعم عدد من ممارسي الطب وانما ظاهرة إيجابية لها قوتها وجمالها الخاصين بها، فلسنا مرغمين على تبرير ولعنا بالحياة، فهل من شيء أهم من حمل الحياة محمل الجد؟ وبالفعل فان عبء البرهان يقع على عاتق الفلاسفة التحليليين وعليهم أن يبرهنوا على أن فلسفتهم تنطوي على فائدة ما للحياة، ولسنا نريد

أن نطبق عليهم ونسألهم تسويغا مبتذلا ذرائيا للفلسفة،[2] وما من فلسفة في وسعها أن تنجح على المدى البعيد ما لم تسع الى فهم الطبيعة والحياة، وهذا هو الرهان الذي تعمل عليه فلسفة البيئة أي فهم الحياة، فالحياة هي ظاهرة التزام وبتجنب الالتزام نتجنب الحياة والفلسفة التي تنصرف عن الحياة هي جزء من السيرورة الإنسانية التي تقود الى الموت، ومنه نفهم التزامنا تجاه انفسنا والطبيعة، لقد تسلل نزوع مدينتنا الى الموت الى صروحها الفلسفية أما

[1] . نقيطة نعيمة، الفلسفة والبيئة، مرجع سابق، ص 22.

[2] . هنريك سكوليموفسكي، **فلسفة البيئة**، ترجمة ديميتري افيرينوس، دار الابجدية للنشر، دمشق، سوريا، ط1 ، 1992، ص 61.

فلسفة البيئة تسعى الى قلب السيرورة، أي الحياة ذات معنى بالتوافق مع أصولها الطبيعية وهنا نجد أنفسنا في جدلية الطبيعة والمدنية فالأولى هي الحياة أما الثانية هي الموت بالمعنى الحضاري.

2/ الفلسفة البيئوية حية روحية، لقد كان على الانسان لكي يتخطى كونه البيولوجي المجرد ان يهذب بنية تجربته ومقدرته على التجاوب مع ظاهرات تتسامى في لطافتها، وطاقته على اختبار العالم عبر ذكائه الفاعل، وان كل فعل ادراك واستيعاب لدى بلوغه التطور على المستوى الثقافي ليشكل تحولا حاذقا في العالم الروحانية باختصار هي بنية شاملة لتوليد تجربتنا المتخطية للمادة تكاد تكون جهازا يمكن الانسان من المزيد تهذيب الذات، وهكذا فالروحانية من جهة حالة كينونة تجربة فريدة للوسطاء البشريين تجعلهم يخشعون أمام مجد كونهم بشار أو تجعلهم يسجدون رحمة أو رهبة امام غيرهم، ومن جهة اخرى في المنظور التطوري أداة لاكتمال الانسان فالروحانية على نحو ما مرادفة للطبيعة الإنسانية، فالفلسفة البيئية هي حية روحيا لأنها تتوجه الى الامتدادات القصوى لظاهرة الانسان، [1]وهذه الامتدادات تبسط حياة الروح التي لسنا بدونها نفضل القرود التي تطفر من شجرة الى أخرى، وأن جانبا كبيرا من فلسفة اليوم ميت روحيا لأنها تتوجه الى قضايا ومجالات تستبعد حياة الروح على نحو منهجي، وان لغة تلك الفلسفة ومفاهيمها ومعاييرها بالصلاحية هي ماهية بحيث انها يجب بالضرورة

ان تصرف كل ما يتصل بالروحانية باعتباره باطلا وغير متماسك، إن البحث في الوضع البشري يقود لا محال الى خروج بان ضالة الانسان الجوهرية هي المعنى، وأن هذا المسعى الى المعنى سواء عبر الثقافات والأديان التقليدية او عبر العلم الحديث لهو مسعى روحي[2]، وهذا ما تسعى اليه فلسفة البيئة عبر كل العصور.

3/ فلسفة البيئة جامعة شاملة:

[1] . مرجع نفسه، ص 66.

[2] . نفسه ، 67.

بينما الفلسفة المعاصرة تجزيئية تحليلية الفلسفة البيئية جامعة لا لأنها واثقة بما لا يدع مجالا للنقد لان في مقدورها ان تستوعب كل شيء، انما جامعة بالضرورة، فالفلسفة البيئوية بالنظر اليها كفلسفة جامعة هي سيرورة تكاملية تراتبية ومعيارية مفعلة للذات فيما يتعلق بالفرد وتعايشه بالكوسموس.[1]

في علم البيئة نضطلع كما نعلم بإطار مرجعي أوسع بكثير من إطار الفيزياء والكمياء، ينجم عن ذلك مجرد وصف فزيائي او كيميائي للظاهرات لن يصلح حين نكون في الإطار البيئوي ويزودنا التطور بإطار أوسع بكثير وخاصة حين يشتمل على التطور الثقافي للإنسان، إذن فان مفهومنا عن الحق ينبغي ان يرتبط بإطار التطور بعامة وليس بوصف سكوني بالأشياء ضمن النظرية التطورية.

4/ **الفلسفة البيئوية واعية بيئيا:** بينما الفلسفة الاكاديمية المعاصرة متناسية الى حد كبير للهموم البيئية، رغم ان في الفلسفة البيئوية أكثر من مجرد الاعتناء بمواردنا الطبيعية فالوعي بيئويا لا يعني اجراء جرد حصيف للموارد المتوفرة والدعوة الى اتخاذ خطوات صارمة لجعلها تدوم فترة أطول فحسب، انما يقتضي أيضا اجلال الطبيعة وإدراك باننا امتداد لهذه الطبيعة وانها امتدار لنا، على القيم الإنسانية ان ترى باعتبارها جزء من طيف أوسع تشارك فيه الطبيعة وتسهم في تحديده.[2]

5/ الفلسفة البيئية تقف في صف اقتصاد نوعية الحياة: يبدو ان الفلسفات الاكاديمية في الغرب غير متصلة بأي اقتصاد لكنها في الواقع منحازة الى اقتصاد النمو المادي، وهي لا تشتغل ضمن الاطار الذي يؤيده ضمنا وحسب بل تولد مثاله أيضا، الفلاسفة الاكاديميون الغربيون تجريبيون وفي الأقل متأثرون بالمذهب التجريبي، انهم ينضوون اجمالا تحت لواء النظرة الدنيوية الى العالم ويجدون في التقدم المادي مقياسا ساريا للتقدم ولذلك يؤيدون بوضوح وان على نحو مباشر نهج اقتصاد النمو والواقع البسيط هو ان المذهب التجريبي

[1] نفسه ص،68

[2] نفسه ص 70

يقدم تسويغا فلسفيا لاقتصاد التقدم المادي. ترى الفلسفة البيئية أن الاقتصاد الذي يستهين بقيمة الحياة هو اقتصاد في نزاع مع الحياة نفسها وقد بينت هيزل هندرسن حماقة وعبث اقصاد مسير باتجاه النمو المادي وحده.[1]

5/ فلسفة البيئة على دراية سياسيا:

كما أنها ملتزمة سياسيا انما ليس بطريقة سطحية، فالفلسفة البيئية سياسية بالمعنى الارسطي: الانسان حيوان سياسي، لا لأنه يشتهي السلطة بل لان افعاله حبلى بالنتائج السياسية، باختصار ، نحن لا ندلى بتصريحات سياسية بالطريقة التي ننتخب بها بقدر ما ندلي بها بالطريقة التي نحيا بها، فهناك تصريح سياسي واضح ينطوي عليه انتاج القمامة، فمشاركة المرء فيه تعني اشتراكه في درجة الهدر لكل عواقبها، ومن هذه العواقب ضرب من التلوث العقلي، الاعتياد على الهدر كطريقة حياة، فلكي يكون لامريكا أن تتلف على أمم اخرى ان تسهم، وهل هي تسهم وفقا لشروطها؟ لا، فإنها تسهم لشروط أمريكا، لان الممونين في هذا العالم يقدموا بضائعهم وفقا للشروط التي يحددها المستهلكون ونتيجة ذلك اجحاف في معظم الأحيان، فالأضرار بالفلاح البوليفي او المزارع البرازيلي وغالبية المزارعين في العالم الثالث يتصل مباشرة بالطريقة التي تختارها البلدان الصناعية لتصريف شؤونها، إن انتاج القمامة فعل

سياسي نؤثر فيه على نحو غير مباشر في حياة الاخرين، بيد ان المعاملة للأسف بسيطة كلما زاد انتاجنا من القمامة زاد أثرنا الضار على غيرنا من الناس.[2]

المبحث الثاني: تطور الفكر البيئي من العلم الى الفلسفة :

[1] هنريك سكوليموفسكي، **فلسفة البيئة**، مرجع سابق، ص 71.

[2] نفسه، ص 72

لعلم البيئة أو الايكولوجيا جذور تاريخية متشعبة ويرجع سبب هذا التشعب بالدرجة الأساس إلى طبيعة المشابكة مع علوم أخرى كثيرة وعلى العموم يعد فلسفة الإغريق القدامى أمثال هيبوكراتس Hippocrates، وأرسلوا طاليس Aristotle أول من دونوا عن التاريخ الطبيعي إذ كانوا ينظرون للحياة على أنها ماهوية Essentialism تكون فيها الأنواع الأحيائية مجرد أشياء ساكنة لا تتغير أما التنوع الموجود من وجهة نظرهم فما هو إلا شذوذ الحالة المثالية. [1] وهذا يناقض بطبيعة الحال النظرية البيئوية الحديثة التي ترى أن التنوع هو الظاهرة الفعلية الواجبة الاهتمام وأن له دور في نشأة التأقلم من طريق الانتقاء الطبيعي، ويمكن إرجاع أصول أولى مفاهيم علم البيئة، كتوازن الطبيعة مثلا، إلى هيرودوتس (Herodotus) المتوفى عام 425 ق.م حيث كان أول من وصف عملية الأيض لدى لكائنات الحية، وبينما يعد أرسطو أول من ترك أثرا على التطور الفلسفي البيئة، فأن تلميذه ثيوفراستس(Theophrastus) دون الكثير من الملاحظات حول والحيوانات، في ضوء هجرتها وجغرافيتها الحياتية وفيزيولوجيها وسلوكيتها، وهو ما شكل اللبنة الأولى لعلم البيئة بمفهومه الحديث.[2]

ولازال علم البيئة الحديث يافع فهو لم يصبح علما متكاملا الا في نهايات القرن التاسع عشر، إن علم البيئة تحول منذ مطلع القرن العشرين من مجرد علم ذي طابع يصف التاريخ الطبيعي إلى أخر ذي طابع أكثر علمية يقوم على تحليل معمق للتاريخ الطبيعي.

إذ نشر (فريدريك كليمانتس) أول كتاب أمريكي حول علم البيئة في عام 1905 وفيه طرح نظريته القائلة أن المجتمعات النباتية هي بمثابة الكائن الحي الأعظم (Super organism) كما أنه كان رائد مفهوم التعاقب البيئي، وفي عام 1926 استخدم جون كريستين سميتز مصطلح التكامل البيئي(Holism) مستلهما هذه الفكرة من نظرية الكائن

[1] . د، شكري إبراهيم المحسن، **مقدمة في علم البيئة ومشكلاتها**، مرجع سابق ص 17.

[2]. نفسه، ص 18.

الحي الأعظم لكليمانتز وطرح أيضا تشارلز ألتون مفهوم السلاسل الغذائية في كتابه الأصيل علم بيئة الحيوان [1].

في عام 1942 كتب ريموند لاندمان بحثا شهيرا حول حركية المستويات الغذائية في علم البيئة وقد أصبح هذا البحث فيما بعد الأساس لنظرية سريان الطاقة والمواد عبر الأنظمة البيئية وخلال عقد الخمسينيات من القرن العشرين أدخل روبرت ماك أرثر إلى علم البيئة النظريات والتنبؤات والاختبارات الرياضية. شهد علم البيئة تطورا أيضا من خلال إسهامات جاءته من علماء في بلدان أخرى مثال ذلك الروسي فراديمير فيراندسكي صحاب مفهوم الغلاف الحياتي في العشرينات والياباني كينجي إمانيشي صاحب مفهومي التناغم في الطبيعة وعزلة المواطن الطبيعية.

هذا وشهد علم البيئة اهتماما ملحوظا على الصعيدين العلمي والشعبي خلال عقدي الستينات والتسعينات وذلك بفضل الحراك الجماهيري حول القضايا البيئية، عبر ما يسمى بالحركة البيئية Environmental movement.

فهناك ترابط تاريخي وعلمي قوي ما بين علم البيئة وإدارة البيئة وحمايتها وكان لكتابات عاشقي الطبيعة أمثال ألدو ليوبورت وأرثر ثانسلي دورا مؤثرا في الدعوة إلى حماية الطبيعة المنفصلة عن المراكز الحضارية حيث يتركز فيها التلوث والتدهور البيئي، وفي عام 1962 ساعد كتاب "**الربيع الصامت**" لعالمة الأحياء والبيئة البحرية ريتشل كارسون (Rachel Carson) [2]على دفع الحركة البيئية إلى الأمام، وذلك بعدما لفتت كارسون الرأي العام العالمي إلى قضية التلوث بالمبيدات السامة والتراكم الحيوي لمؤيد د.د.ت. D.D.T في البيئة واستفادت كارسون من علم البيئة في إثبات علاقة طرح السموم

[1] . نفسه، ص 20 .

[2] د. وجدي خيري نسيم، **الإيكولوجيا العميقة عند أرني نايس، دراسة في فلسفة البيئة المعاصرة**، مجلة كلية الآداب جامعة القيوم، 2021، ص 1479.

إلى البيئة بصحة الإنسان والنظام البيئي ، وعلى ذلك بات علما البيئة يكرسون منذ ذلك الوقت جل اهتمامهم على ربط تدهور الأنظمة البيئية لكوكب الأرض سياسيا وقوانين متعلقة بالبيئة وبالكيفية التي تدار بها الموارد الطبيعية.

في الحقيقة ذاعت شهرة كتاب "الربيع الصامت " في معظم انحاء العالم، وترجم الى العديد من اللغات، وبالفعل نال اهتمام الكثير من الفلاسفة لدرجة جعلت الفيلسوف البيئي النرويجي أرني نايس (Arne Naess) يؤرخ لبزوغ فلسفة بيئية جديدة بداية من صدور هذا الكتاب، حيث يقول: " اننا نبدأ بإعلان الحركة الايكولوجية العميقة على المستوى الدولي انطلاقا من صدور كتاب الربيع الصامت. "[1]، وقد شهدت العقود التي تلت صدور كتاب الربيع الصامت زخما كبيرا في الاهتمام بالدراسات البيئية، إذ ألف نايس أولى مقالاته في هذا الشأن عام 1973م بعنوان : *"الضحل والعميق، الحركة الايكولوجية بعيدة المدى"*، وتلاه العديد من الفلاسفة الاخرين أمثال هانس جوناس في كتاب "مبدأ المسؤولية" والفيلسوف الأمريكي بول تايلور بكتاب " الاحترام للطبيعة" 1986م، وتوالت المؤلفات بكثرة في هذا المجال. [2]

على أية حال قدم الفلاسفة على اختلاف مشاربهم تصورات شتى للخروج من الازمات البيئة ومحاولة التغلب عليها، رغم هذا الاختلاف الا ان هناك قواسم مشتركة بينهم

وخاصة في ما يتعلق بتشخيصهم لأسباب المشكلات، إذ يبدأ الكثير منهم مثل: جوناس وكابرا وتايلور ونايس بنقد الحداثة الغربية وما أتت به من نهضة علمية وفلسفية بداية من القرن السابع عشر والثامن عشر وتحميلها مسؤولية الازمات والشرور البيئية الموجودة في عصرنا الراهن، فيستهلون نقدهم من العقلانية الديكارتية وثنائية العلم الحديث

[1] . نقلا عن ، وجدي خيري نسيم، **الايكولوجية العميقة عند أرني نايس**، مرجع نفسه ص 1480.

[2] نفسه ص 1480.

(ذات/ موضوع)، والمنهج العلمي عند فرانسيس بيكون ونيوتن، فضلا عن نقد فلسفة الانوار ودورها في تجريد الانسان من الهالة الأسطورية التي كان يضفي القداسة على الطبيعة، إن هذه الفلسفات الحداثية جميعا تكرس لمبدأ العقل والعقلانية ومركزية الذات الإنسانية في مقابل الطبيعة والبيئة اين يتم استباحتها من قبل ذلك العقل الحداثي.

المبحث الثالث: الاتجاهات المعاصرة في فلسفة البيئة

1/ الاتجاه الإنساني البيئوي

شدد المذهب الإنساني على نبل الإنسان واستقلاله وعلى عظمته باعتباره سبيكة القالب البرومثيوسي. ولقد سار هذا التصور عن الإنسان يدا بيد مع فكرة رصد الطبيعة لتلبية أهداف الإنسان البيئوي فيقوم على المقدمة المعاكسة فهو يرى الإنسان كمجرد جزء من مخطط أوسع للأشياء، جزء من الطبيعة أو الكوزموس (cosmos). [1]

ليس **المذهب الإنساني البيئوي** مجرد رقيمة مبهرجة جديدة تعلن عن ضرورة تقليلنا من ندر الطبيعة، فهو ينطوي على إعادة توجيه أساسية للإدراك، ففي الماضي وطئ كل من علم البيئة والمذهب الإنساني طريقه الخاص وانتهى إلى ايديولوجيا مختلفة، فعلم البيئة قد ركز غالبا على البيئة المتأذية وجاهد في سبيل حلول وأدوية بديلة من أجل إعادة السلامة إلى البيئة أما المذهب الإنساني فعلى غير ذلك، فقد ركز بصورة رئيسة على الإنسان المتأذي وجاهد من أجل التوصل إلى حلول من أجل إعادة السلامة إلى الفرد، منذ ايام سقراط وفلسفة الطبيعة وفلسفة الإنسان يسيران على طريقين مختلفين بل ومتناقضين أحيانا وعلم البيئة صياغة جديدة حديثة العهد لفلسفة الطبيعة.[2] بمعنى ان علم البيئة هو امتداد للتصور الكلاسيكي والحداثي للعلم الطبيعي الذي يرى ان البيئة أو الطبيعة هي موضوع جامد بلا معنى ويخلو من أي قيم الا بالنسبة لخدمة أغراض الانسان، وعليه كانت تبحث علوم البيئة الاثار السلبية لتطبيقات العلم على الطبيعة واثرها على وجود الانسان، فجاء المذهب الإنساني يعبر عن فلسفة الإنسان وهذه الثقة

[1] هنريك سكوليموفسكي، **فلسفة البيئة**، مرجع سابق ، ص 87 .

[2] نفسه ص 88

بين فلسفة الطبيعة وفلسفة الإنسان كانت أصل مفهومها المغلوط بأن الطبيعة متوفرة لكي تسخر وتخضع وتشغل.

إن المذهب الإنساني البيئوي يدعوا الى العودة إلى النظرة التوحيدية (مذهب وحدة الوجود لسبينوزا) التي يعود فيها لكل من فلسفة الإنسان وفلسفة الطبيعة، وان الانسان جزء لا يتجزأ من الطبيعة وخاضع لقوانينها، لذلك القانون الطبيعي هو مطابق للقانون العقلي الإنساني، فالطبيعة مختصرة في عقل الانسان بهذا المعنى، واكثر من ذلك هي تعبير عن إرادة الله في الوجود (الطبيعة الطابعة) لان القانون الطبيعي هو نفسه قانون الهي والعقل الحاذق هو ذلك العقل القادر على اكتشاف ذلك القانون.[1]

2/ الاتجاه البيئي النسوي:

لعل الحركة النسوية من أبرز التيارات الفلسفية في الفكر المعاصر، والنسوية بالطبع نسبة الى النساء وهي تطلق بشكل عام على مجموعة مختلفة من النظريات الاجتماعية والبيئية والحركات السياسية والفلسفات الأخلاقية التي تحركها دوافعٌ متعلقة بالمرأة وقضاياها، ويتفق الفلسفة النسويةً أو رجال على أن الهدف النهائي هو القضاء على كل أشكال التمييز كانوا سواء نساءً (أو الأنثوية) عموماً او رجالا بالنمو والمشاركة في المجتمع يتمتع بأمان وحرية.[2]

إن النسوية تتمثل بشكل عامٍ في " كلَّ جهدٍ نظريٍّ أو عملي يهدف إلى مراجعة واستجواب أو نقد أو تعديل النظام السائد في البنيات الاجتماعية الذى يجعل الرجل هو المركز، هو

---

[1] François Chomarat, ***Lecture critique du livre d'Arne Naess***, Revue scientifique sur la conception et l'aménagement de l'espace, p07/17, Publié le 26/06/2009 sur Projet de Paysage – www.projetsdepaysage.fr

[2]. مصطفى النشار، ***النسوية الايكولوجية، مسعى نقدي لتطهير مبانيها ومعاثرها***، مقال في مجلة الاستغراب، العدد 19 صيف 2019، ص210

الإنسان، والمرأة أو آخرٍ في منزلةً أدنى، فتفرض عليها حدودا وقيودا، وتمنع عنها إمكانات للنماء والعطاء، فقط لأنها امرأةٌ، ومن ناحيةٍ أخرى تبخس خبرات وسمات فقط لأنها أنثى، لتبدو الحضارة في شتى مناحيها إنجازا ذكوريا خالصا يؤكّد ويوطّد سلطة الرجل وتبعية أو هامشية المرأة، وقد بدأت الحركة النسوية في الفكر الغربي منذ القرن التاسع عشر حتى صيغ مصطلح النسويةFéminisme لأول مرة عام 1895 م ليعرب عن تيار ترفده اتجاهات عدةٌ ويتشعب إلى فروع عديدة.[1]

وقد تطورت هذه الحركة في القرن العشرين وكانت عميدتها الفيلسوفة الفرنسية سيمون دى بوفوار وكتابها (الجنس الثاني) عام 1949م حينما أعلنت فيه أن المرأة لا تولد امرأةً، بل تصبح امرأة إشارةً إلى الدور الكبرى الذى يقوم به المجتمع في صياغة وضعها كأنثى، ومن هنا عدت دي بوفوار الأم الكبرى للفلسفة النسوية المعاصرة، وارتبطت النسوية الجديدة الآن ما بعد الحداثة وأصبح مطلقها الأساسي هو نقد ورفض المركزية، مركزية النموذج الذكوري للإنسان التنويري، الحداثي العاقل، الوجه الآخر للمركزية الأوربية ومركزية الحضارة الغربية، وفي تجسيد لمرمى التصويب لديهم اصطنعوا مصطلح (مركز العقل الذكوري (Phallocentrisme)ليمثل القيم الذكورية المتسيدة المهيمنة على الحضارة، وكانت وسيلة الرجل الأبيض لقهر العالم وإحداث المصائب والويلات التي تعانى منها الحضارة الإنسانية في أركان العامل الأربعة والتي تتلخص في أن مركزية العقل الذكوري الغربي قد قهرت ثالوث الأطراف قهرت المرأة وقهرت الطبيعة وقهرت شعوب العالم الثالث، ومن هنا خرست الحضارة الإنسانية والتجربة البشرية خسرانا كبيرا، آن الآوان للعمل على وقف نزيفه، ومن هذه الزاوية

---

[1] . د. يمنى الخولي، تصدير ترجمتها العربية لكتاب: ليندا جني شيفرد، **أنثوية العلم– العلم من منظور الفلسفة النسوية**، سلسلة عالم المعرفة الكويت 2004م، ص11.

تبدو النسوية الجديدة من أهم تيارات الفكر الغريب المعاصر لأنها فلسفةٌ للمرأة بقدر ما هي فلسفة للبيئة، بقدر ما هي فلسفة لتحرر القوميات.[1]

وتعد الخاصة بالاتحاد بين الطبيعة والأنثى بقدر الإمكان، وذلك عبر معارضة النظرية المضادة، نظرية استعباد الطبيعة والنساء، من ثم فقد ارتبطت في الحركة النسوية الحديثة الدعوة إلى المحافظة على الطبيعة مع حركة تحرر النساء إذ تشكلت الحركة النسوية القوية التي بدأت في عام 1842 في الولايات المتحدة الأمريكية والداعية إلى حق النساء في الاقتراع، مع الحركة النسوية الداعية إلى الحفاظ على الطبيعة التي تأسست من المنظمات النسوية التابعة لاتحاد النوادي النسوية عام 1890 م وكلتاهما دعت وألحت على إصدار التشريعات الخاصة على المحافظة على نظافة البيئة ونظافة الماء والهواء، إن الأرض العليلة بل و «الميتة والمتعفنة» يمكن في الأمد الطويل استرداد صحتها فقط عن طرق عكس مجرى التيار الرئيسي للقيم والسياسات لتصبح في النهاية سياسات تتبنى أساليب اجتماعية جديدة تعزز نوعية البيئة وتحافظ عليها وتعود إلى أساليب الحياة البسيطة وتستخدم التقنيات اللينة غير الملوثة، إن الإيكولوجيا النسوية إذاً دعوةٌ إلى التوزيع المستقبلي للطاقة والموارد بين المجتمعات وفق مبدأ التكامل بين الكائنات البشرية والمنظومات البيئية الأخرى.[2]

النسوية الإيكولوجية في واقع الحال محاولة للعودة إلى الأصل، العودة إلى إيقاظ الذهنية

---

[1] . نفس المرجع، ص 13/ 14.

[2] – كارولين ميرشانت، **موت الطبيعة، ضمن كتاب: مايكل زيمرمان، الفلسفة البيئية**، ترجمة لمعين شفيق رومية، الجزء الثاني– سلسلة عالم المعرفة الكويت 2006م، ص50 .

وفي هذا السياق بدأت العديد من المنظمات العالمية والمؤسسات الدولية الاهتمام بالبيئة وشؤون المناخ في السنوات الأخيرة الماضي مع زيادة آثار التغير المناخي على الإنسان والبيئة.

فالتغير المناخي لا يتعلق فقط بدرجات الحرارة المرتفعة، بل يشمل أيضًا أحداث الطقس الشديدة، وارتفاع مستويات البحار، وإلحاق الضرر بالمحاصيل أو حدوث فيضانات أو حرائق، كل عام خلال أيام البيئة والمناخ، تظهر دراسات أو تغطيات متنوعة عن أحدث التطورات أو الدراسات المتعلقة بالتأثيرات السلبية لتغير المناخ، ولكن لم يتحدث أحد عن المرأة بشكل جوهري وضروري، كأحد المتأثرين من تغيرات المناخ أو الأضرار البيئية بشكل عام.

"**هناك نظريات تعقد مقارنات بين وضع النساء ووضع الطبيعة في النظام الأبوي الرأسمالي**" من حيث الاستغلال والعنف، ولكن النسوية تضفي إطارًا مهمًا للحركة البيئية، من حيث النظر في تقاطع القضايا، وأخذ الاعتبار بالحياة والتجارب اليومية إلى جانب نقد الأنظمة السياسية والاقتصادية، لذا قد يتناول منظور "**النسوي–البيئي**" كل شيء، من علاقتنا بأنفسنا وبكل ما حولنا، وبالأرض والبيئة التي نعيش عليها، إلى كيف يؤثر النظم الحالية على جودة حياتنا وتلوّث مياهنا والهواء والطعام، وكيف يقمع ويستغل النظام الاقتصادي الأشخاص ولا سيما النساء من خلال حركة تنقّل الطعام أو المنتوجات عبر الحدود، إلى كيف تستولي الطبقة الحاكمة أو الاستعمار على الأراضي وطرد السكان منها، لهذا فأن النسوية البيئوية تتقاطع مع كل القضايا[1].

أولاً، **الهيمنة على النساء، أم على الهيمنة على الطبيعة؟** ولكن ترى العديد من النسويات أن النظام الأبوي قد تطور بمرور الوقت ليستغل كل ما يمكن استغلاله، باعتبار أن الطبيعة مجرد مورد قابل للاستغلال، وليس مجموعة من الكائنات الحية التي نحيا معها في مكان

[1]. نفسه ص 51.

واحد، إن أردنا التحدث عما إذا كان سينعكس التحسن البيئي على المرأة أو العكس سيكون من البديهي القول بأن تمكين ووجود المزيد من النساء في مناصب السلطة واتخاذ القرارات. مثلًا، سيساهم في تسليط الضوء بشكل أكبر على القضايا البيئية وسيساهم بطرح حلول أفضل للجميع، ولهذا تحاول النسوية أن تعمل على تغيير المواقف والممارسات التي تُشرعن وتطبع العنف؛ فلطالما كان النظام الأبوي متورطًا في الاستغلال والعنف، وهناك صلة بين ما يحدث

مع البيئة ومع النساء، وهذا مرتبط بحق النساء بالعيش في عالم أفضل، سواء كنا نتحدث عن الوضع السياسي أو الاجتماعي أو البيئي[1].

قضايا المرأة والقضايا البيئية مترابطين بشكل كبير، ولا يتعين علينا انتظار تحقيق جميع قضايا المرأة للبدء في التفكير في حماية البيئة، أو العكس. وهذه مساهمة مهمة أخرى من الفكر النسوي الذي بُنيت عليه النسوية البيئية: أنه لا توجد أولوية للقضايا، حيث يتعلق الأمر بتقدير كل أشكال الحياة، وحصول كل شخص على الموارد التي يحتاجها، بما فيها توفر أماكن عامة آمنة غير ملوثة، ووصول للمياه والشواطئ والهواء النظيف والطعام الصحي، هذه قضايا جوهرية.

فليس من الممكن الاهتمام بالنسوية وعدم الاهتمام بالبيئة أو حتى الاهتمام بقضايا العنصرية مثلًا، أو الاستغلال الاقتصادي فقط أو التهجير القسري، بدون النظر إلى البيئة، مثلًا لا يتم منح النساء فرصاً للوصول إلى الموارد البيئية اللاتي يحتجنها، أو حتى وصولهن إلى أقل ما يحتجن إليه لمحاربة أولئك الذين يحاولون السيطرة على أراضيهم أو مصادر رزقهم، ولذلك علينا القول بأنه لا تتعلق حماية البيئة بالأشجار والنباتات فحسب، بل تتعلق أيضًا بعدة أمور مترابطة، مثل رؤية كيف يمكن للأثرياء الوصول إلى المساحات الصحية النظيفة بينما ينحصر الفقراء أو اللاجئين في المساحات الغير صحية بيئيًا أو مهملة أو بها

[1] . د، مصطفى النشار، **النسوية الايكولوجية، مسعى نقدي لتطويها مبانيها ومعاثرها**، مرجع سابق ، ص 212 .

سوء إدارة، أو كيف تساهم الدول الغنية في معظم انبعاثات الكربون في العالم. النسوية لا يمكن أن تدور حول النساء فقط، دون رؤية النضالات التي تخوضها العديد من النساء حول أراضيهن، والوصول إلى الموارد البيئية؛ إذن فالبيئة والنسوية مترابطان.

وهناك ثمانية للأخلاق النسوية تؤسس نظرة النسوية لفلسفة البيئة ومن ثم فإن خصائص النسوية الإيكولوجية هي الأخرى لدى "كارين ج وارين" منبثقة عن هذه الشروط والخصائص العامة للأخلاق النسوية وهي كالتالي:[1]

أولا: النسوية الإيكولوجية تعارض في جوهرها التمييز ضدَّ الطبيعة، ومن ثم فهي ترفض أي أسلوب في التفكير أو السلوك إزاء الطبيعة غير البشرية يعكس منطق الهيمنة وقيمها ومواقفها.

ثانيا :إن النسوية الإيكولوجية أخلاقٌ سياقية بمعنى أنها تستبعد المفهوم التقليدي للأخلاق على أنها قواعدٌ وحقوق أو مبادئُ محددةٌ سلفًا لصالح مفهومٍ جديد للأخلاق يقوم على النظر إلى العلاقات بين الكائنات المختلفة في سياقاتها المتعددة، إذ إنه بالنسبة إلى النسوي الإيكولوجي يكون الاهتمام المحوري «هو ما يكونه الفاعل الخلُقي في علاقته مع الآخر لا مجرد أن الفاعل الخلقي هو فاعلٌ خلقيٌ أو أنه ملزمٍ من قبل الحقوق أو الواجبات أو الفضيلة أو المنفعة بالسلوك بطريقةٍ معينة.

ثالثًا :النسوية الإيكولوجية تعدديّة بنيويًّا أنها تفترض مسبقا الاختلاف وتحافظ عليه سواء كان اختلافا بين البشر بعضهم البعض، أو بينهم وبين عناصر الطبيعة الأخرى، فالبشر يعدون أعضاء في مجتمعٍ إيكولوجيٍ من بعض الوجوه ومختلفين عنه من وجوهّ أخرى،

[1] نفسه ص 214.

ومن ثم فإن انتباه النسوية الإيكولوجية إلى العلاقات والمجتمع لا يُعد محوٌ للاختلاف، بل هو إقرار به[1].

رابعا :تعيد النسوية الإيكولوجية فهم النظرية هي نظريةّ قيد التشكل، إذ تركّز على نماذج المعنى التي تنبثق من رواية القصص وسرديات صيغة المتكلم لدى النساء والآخرين اللواتي يستنكرن الهيمنة المزدوجة على النساء والطبيعة.

خامسا :النسوية الإيكولوجية تنشأ من أصوات النساء اللواتي يختبرن الهيمنة المؤذية على الطبيعة والطريقة التي ترتبط بها تلك الهيمنة بالهيمنة عليهن كنساء، ومن ثم فهي تنتقد المقاربات التقليدية للأخلاق البيئية بانها أخلاقٌ بورجوازيةّ تخص العرق الأبيض وتخفق في التعامل مع القضايا الإيكولوجية التي تخص كل البيئات البشرية وغير البشرية.

سادسا :النسوية الإيكولوجية وبما هي كذلك لا تبذل أيٍ محاولةٍ لتقديم وجهة نظرٍ موضوعية، فهي إيكولوجيا اجتماعية تُدرك أنٌ الهيمنة المزدوجة على النساء والطبيعة هي مشكلةٌ اجتماعية تضرب بجذورها في الظروف الملموسة جدا التاريخية والاجتماعية والاقتصادية وكذلك في الأطر الجائرة التي تحافظ على هذه الظروف وتقرها.

سابعا :تُولي النسوية الإيكولوجية مكانةً محورية لقيم الرعاية والحب والصداقة والثقة، والعلاقات المتبادلة التي تعني أن علاقتنا مع الآخرين محورية لفهم من نكون .

ثامنا :تتضمن الإيكولوجيا النسوية إعادةَ فهمٍ لما يعنيه كوننا بشرا ونتائج ذلك على السلوك الأخلاقي، ومن هنا تنكر النسوية الإيكولوجية الفردانية المجردة وتؤكد على أهمية السياقات التاريخية والاجتماعية والعلاقات التي نكون كبشر طرفا فيها بما في ذلك علاقتنا مع الطبيعة غير البشرية لأنها تلعب دورا جوهريًّا في صياغة ما هو بشري[2].

---

[1]. نفسه ص 215

[2] نفسه ص 217.

والخلاصة أن النسوية الإيكولوجية تقدم إطارا لأخلاقٍ نسويةٍ وبيئيةٍ متميزة حيث تنبثق من الارتباط الملموس الذي تُنظر له بين الهيمنة على النساء والهيمنة على الطبيعة، وباعتبارها أخلاقًا سياقيّة تُعيد النسوية الإيكولوجية توجيه الأخلاق البيئية لتركز على ما تعنيه الطبيعة خلقيًّا للبشر وعلى كيفية العلاقة بين البشر والآخرين سواء كانوا من البشر أو من غير البشر.

الفصل الثاني

المبحث الأول: المرجعية الميتافزيقية للايكوصوفيا عند أرني نابيس

(من وحدة الوجود السبينوزي الى اللاهوت الأرثوذكسي)

لعلّ الفلسفة الايكولوجية المعاصرة لها امتدادات في تاريخ الفكر الفلسفي الغربي، وفي الفلسفة الحديثة بالضبط، نجد لها جذورا وتأسيسا ميتافزيقيا في عقلانية باروخ سبينوزا (***Spinoza***) وفي مذهب **وحدة الوجود** (***panthéisme***) ذلك أن أرني نابيس (***Arne Naess***) يشير الى ذلك صراحة في متنه ويعلن وفائه الشديد الى النظرة الانطولوجية السبينوزية، فيكف ذلك؟ وكيف يمكن اثبات وشائج القربى بين فلسفة ميتافيزيقية ذات بعد ديني مسيحي وفلسفة عملية تعنى بالبيئة ومشاكلها؟

في بادئ الأمر نشير الى ان فلسفة باروخ سبينوزا [1] هي امتداد للعقلانية الديكارتية حيث كان أول ما كتب رسالة في مبادئ فلسفة ديكارت مبرهنة على الطريقة الهندسية كتمهيد ومدخل لفلسفته الخاصة، وهي إصلاح العقل الأخلاق والرسالة اللاهوتية السياسية وأصحها كتاب الأخلاق فإنه جامع يلخص الكتب السابقة ويكملها، وقد نهج فيه المنهج الهندسي وهو المنهج اللائق بمذهب **وحدة الوجود** الذي ينزل من الواحد إلى الكثير، والكتاب ينقسم إلى خمس مقالات الأولى في الله والثانية في النفس طبيعتها واصلها والثالثة في الانفعالات أصلها وطبيعتها والرابعة في عبودية الإنسان او في قوة الانفعالات والخامسة في قوة العقل أو في حرية الإنسان، فالأخلاق موضوع المقالتين الأخيرتين ولكن اسبينوزا اطلق هذا الاسم على الكتاب كله لأن غاية النظر عنده العمل، ولأن اتجاهه الأساسي أخلاقي كما هو الحال عند الرواقيين (*كما نشير هنا لعلاقة البيئيين المعاصرين بالأخلاق العقلانية عند سبينوزا*)، ويتناول فيلسوفنا الظواهر المعلومة بالملاحظة الظاهرة أو الباطنة، وهي كثيرة،

[1] . **باروخ سبينوزا**)بالهولندية(Baruch Spinoza :)هو فيلسوف هولندي من أهم فلاسفة القرن 17 .ولد في 24 نوفمبر 1632 في أمستردام، وتوفي في 21فبراير 1677 في لاهاي. هو من اتباع فلسفة ديكارت اهم كتبه رسالة في اللاهوت والسياسة، كتاب علم الاخلاق.

فيحولها إلى نتائج تحويلا صناعيا، ويضع لذلك تعريفات هي أحرى بأن تكون مطالب تقتضي البرهان من أن تكون مقدمات مسلمة للبرهان، ومن الملاحظات الموضوعية نذكر ما يلي :

اولا / المنهج:

قبل كل شيء يجب التفكير في وسيلة شفاء العقل وتطهيره لكي يجيد معرفة الأشياء، هذه الوسيلة هي التمييز بين ضروب المعرفة وتقدير قيمة كل منها لأجل الاهتداء إلى المعرفة الحقة، هناك معرفة سماعية تصل إلينا بالفعل، مثل معرفتي تاريخ ميلادي ووالدي وما شابه ذلك، وهي معرفة غير علمية، فإذا صرفنا النظر عنها انحصرت المعرفة في ثلاثة ضروب[1]: الضرب الأول معرفة بالتجربة المجملة أو الاستقراء العامي، وهي إدراك الجزئيات بالحواس بحيث تنشأ في الذهن افكار عامة من تقارب الحالات المشابهة مثل معرفتي أني سأموت لكوني رأيت اناسا مثلي ماتوا، وأن الزيت وقود للنار، وأن الماء يطفئها، واصل اعتقادنا بهذه الأفكار وأمثالها إننا لم نصادف ظواهر معارضة لها، دون أن يكون لدينا ما يثبت لنا عدم وجود مثل هذه الظواهر، الظرب الثاني معرفة عقلية استدلالية تستنتج شيئا من شيء، كاستنتاج العلة من المعلول دون ادراك النحو الذي تحدث عليه العلة المعلول، أو هي معرفة تطبق قاعدة كلية على حالة جزئية، كتطبيق معرفتي أن الشيء يبدو عن بعد أصغر منه عن قرب، على رؤيتي للشمس، فأعلم أن الشمس أعظم مما تبدو لي، هذه المعرفة يقينية، ولكنها هي أيضا متفرقة لا رابطة بين أجزائها، الضرب الثالث معرفة عقلية حدسية تدرك الشيء بماهيته أو بعلته القريبة، مثل معرفتي أن النفس متحدة بالجسم لمعرفتي ماهية النفس.[2]

---

[1] . وسف كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، القاهرة، 2012، ص 115

[2] . نفسه 118

ثانيا / الله أو الطبيعة:

يعرّف الجوهر انه ما هو في ذاته ومتصور بذاته، اي ما معناه غير مفتقر لمعنى شيء آخر يكون منه، وهكذا يريد اسبينوزا لكي يخلص من التعريف إلى النتائج التي يقصدها، وأولها أن الجوهر علة ذاته، اي أن ماهيته تنطوي على وجودها، والا كان الجوهر موجودا بغيره، فكان متصورا بهذا الغير لا بذاته ولم يكن جوهرا، وهذا هو الدليل الوجودي، وإلى جانبه اصطنع اسبينوزا حجة ديكارت [1] القائلة انه كلما كانت طبيعة الشيء حاصلة على حقيقة أعظم، كان الشيء اقدر على الوجود وللموجود اللامتناهي أو–الله– قدرة لا متناهية على الوجود، ومن ثمة فهو موجود بالضرورة [2].

النتيجة الثانية أو الجوهر لا متناه، إذ لوكان متناهيا لكان متصلا بجواهر أخرى تحده وكان تابعا لها متصورا بها لا بذاته، النتيجة الثالثة أن الجوهر واحد، إذ لوكان هناك جوهران أو أكثر لكان كل جوهر يحد الآخر ولبطل أن يكون الجوهر جوهرا اي متصورا بذاته، وعلى ذلك فالجوهر موجود بالضرورة أو واجب الوجود سرمدي، لا يكون ولا يفسد فإذا وجد شيئا عداه، لم يكن أن يكون هذا الشيء الا صفة الجوهر الأوحد أو حالا جزئيا يتجلى فيه الجوهر، وبعبارة أخرى، أن الجوهر هو " **الطبيعة الطابعة** " اي الخالقة من حيث هو مصدر الصفات والأحوال انفسها، فالجوهر ضروري والحقائق الأزلية ضرورية لم يفرضها بإرادته كما يذهب إليه ديكارت، ولما كان اللامتناهي لم يكن شخصا مثل إله الديانات [3].

---

[1] . رينيه ديكارت بالفرنسية(René Descartes 31 مارس 11 – 1596 فبراير(1650 ، فيلسوف، وعالم رياضي وفيزيائي فرنسي، يلقب بـ«أبو الفلسفة الحديثة»، وكثير من الأطروحات الفلسفية الغربية التي جاءت بعده، هي انعكاسات لأطروحاته، والتي ما زالت تدرس حتى اليوم، خصوصًا كتاب) تأملات في الفلسفة الأولى1641–م (الذي ما زال يشكل النص القياسي لمعظم كليات الفلسفة. كما أن لديكارت تأثير واضح في علم الرياضيات، فقد اخترع نظامًا رياضيًا سمي باسمه وهو) نظام الإحداثيات الديكارتية(، الذي شكل النواة الأولى لـ) الهندسة التحليلية(، فكان بذلك من الشخصيات الرئيسية في تاريخ الثورة العلمية.

[2]– نفسه، ص 118/ 119.

[3] نفسه ص 120.

وقد سبق القول أن كل تعيين فهو سلب فليس له عقل ولا إرادة إذ أنهما يفترضان الشخصية وإذن فالجوهر لا يفعل لغاية ولكنه يفعل كعلة ضرورية فجيعه معلوماته ضرورية، كذلك وليس في الطبيعة شيء حادث أو ممكن الا بالإضافة إلى نقص في معرفتنا، اي إلى جهلنا ترتيب العلل ولا يمكن أن يقال ان الله كان يستطيع أن يريد غير ما أراد، إذ لا يوجد في السرمدية متى وقبل وبعد حتى يقال ان الله كان موجودا قبل أن يريد ومستطيعا أن يريد غير ما أراد.[1]

ونحن نعلم ماهية الجوهر بصفاته، والصفة هي ما يدركه العقل من الجوهر على أنه مكون لماهيته، والجواهر اللامتناهي حاصل على مالا يتناهى من الصفات كل صفة منه تدل على ماهية سرمدية، تجتمعان فيه مع تمايزها وعدم إمكان احداهما إلى الأخرى فلا تبدو لنا ماهية الجوهر الا في هاتين الصفتين أو الصورتين (الوجود عند ديكارت).

وكذلك القول في المعاني والأفكار فأنها ترجع إلى صفة الفكر وفي هذه الصفة حال يحوي النظام الشامل الثابت للطبيعة هذا الحال هو العقل اللامتناهي أو فكرة الله التي هو معلول مباشر للقوة الفكرية الإلهية اللامتناهية اي القوة الروحية الباقية هي ابدا في الامتداد وما يصدق على أحوال الامتداد، وإذا كان من طبيعة الموجود الفكر أن يكون معاني مطابقة فمن المحقق أن معانينا غير المطابقة آتية من كوننا جزءا من موجود مفكر وان عقلنا مكون من معاني ذلك الموجود بعضها كامل وبعضها ناقص.[2]

في نظر سبينوزا نعلم أن الطبيعة خاضعة لقوانين كلية، وأننا جزء من هذه الطبيعة، فنهتدي بأفكارنا المطابقة ونصير فاعلين بعد أن كنَّا منفعلين؛ ذلك أنَّنا حالما ندرك بالعقل أن أفراحنا وأحزاننا نتائج القوانين الطبيعية، نكف عن محبة الأشياء وبغضها، وعن استشعار الحزن والخوف والرجاء واليأس والغضب والسخرية، فلا نطلب شيئًا إلا لاتصاله بميلنا الأساسي

[1] نفسه ص 120.

[2] نفسه ص 119.

الذي هو حب البقاء، وبالقدر الذي يكفل البقاء، مرجعين هذا الميل إلى ميل الطبيعة جمعاء ومعتبرين شخصنا جزءًا من الطبيعة لا يتجزأ، فتصدر أفعالنا عن طبيعتنا ونكون علتها الكاملة، في هذه المرحلة نحصل على الفضيلة بمعنى الكلمة، أي على قدر العمل طبقا للقوانين الكلية، وتكون النفس في سرور متصل يترجم عن كمالنا وقدرتنا الناتجين من العلم، أما أفعالنا الصادرة عن رجاء الجنة وخوف جهنم، فليست فاضلة، والفضيلة الأساسية القوة أو الشجاعة تجعل الإنسان حرا مستقلا، فإن الحرية الحقة تقوم في اتِّباع ضرورة طبيعتنا بما نحن جزء من الكل، وفي هذه الحالة تعود الأشياء الخارجية خيرات أو شرورا، لا في أنفسها، بل بالإضافة إلينا حسب ما توافق حب البقاء أو تضاده فتزيد في كمالنا أو تنتقص منه، فمن الحكمة أن نستمتع بالحياة ما وسعنا الاستمتاع، فنصلح جسمنا بغذاء لذيذ، ونمتع حواسنا بأريج الزهر ورونقه، بل أن نزين ثيابنا، ونستمتع بالموسيقى والألعاب والمشاهد وكل ما لا يضر أحدا من الملاهي، والموت آخر ما يفكر فيه الرجل الحر، إذ ليست الحكمة تأمل الموت بل تأمل الحياة وبالمعرفة التي من الضرب الثالث ندرك ذاتنا، ليس فقط كجزء من الطبيعة، مما لا يدع مجالا لضرب من التمييز والتضاد بين الإنسان والطبيعة، بل ندرك ذاتنا صادرة عن طبيعة الله، إذ أن الفرد في حقيقة الامر فكرة مجردة، وليس الموجود الحق هو الفرد منفصلا عن الكون، ولا القانون الذي يربط الفرد بالكون، بل الكون نفسه معتبرًا، لا كجملة أجزاء، بل كوحدة جوهرية حاصلة في ذاتها على علة وجودها، في هذه المرحلة نرد السرور الذي يملأ نفسنا إلى الله علة الحقيقة ومبدأ القوانين السرمدية، هذا السرور مصحوبًا بفكرة الله هو محبة الله، والإنسان هو العلة الكاملة لهذه المحبة، وهي خالصة لا يقابلها محبة من جانب الله، لأن الله بريء من الانفعال، وتلك هي الحياة الأبدية المستقلة عن الزمان، إذ ليست الحياة الأبدية بقاء النفس بعد فناء الجسم أو الخلود في عالم مفارق، فإن النفس فكرة الجسم ولا توجد إلا بوجود الجسم، وإنما الحياة الأبدية معرفتنا ذاتنا من وجهة الأبدية وتأمل النظام الكلي، وبعبارة أخرى إن النفس سرمدية من حيث هي حاصلة على معرفة الحقائق السرمدية، وكلما ازدادت معرفتها ازداد حظها من الخلود، فإن الخير الوحيد الذي يدركه عقلنا

والخير الخلقي ما أنمى العقل، والشر ما انتقصه وأفسده، وذلك هو الدين الحق الذي نجده في نفسنا.[1]

في البدء يجب تحديد الإطار الفكري الذي نتحدث من خلاله، تحديد المفاهيم الايكو. لاهوتية عند التطعيم اللاهوت للأساس الفلسفي البيئي.

روحيا، ينتمي عمل نايس في الأصل الى المسيحية الأرثدوكسية والمنفتحة على التقاليد الأخرى للحكمة الشرقية، وبهذا المعنى تتسم هذه المقاربة اللاهوتية بتجربة الحكمة الشرقية النابعة من الحياة حيث يقول " كل كلام يمكن أن يعارض بكلام آخر، ولكن هل هناك كلام يعارض الحياة؟" نقلا عن اللاهوتي **بيزنطين بالماس،**

إن التجربة الروحية التي يدعونا اليها تنبع من فهمنا الخاص للإلهي وما يمكن قوله ليس الا تجربة إنسانية في ماهيتها الناقصة إزاء الحقيقة المطلقة التي تتجازونا .

الايكو. روحي / تنطلق هذه التجربة الروحية من مبدا التثليث الأصلي أو الوحدة اللامرئية بين الله والانسان والكون، في هذه الوحدة الاصلية تتأسس أصل الحقيقة والعمق في فهمنا الخاص للإيكولوجيا، أي تتحقق الايكوروحانية داخل الوجود أو الكينونة في هذا التثليث المسيحي.[2]

اللاهوت الأخضر/ أو الثيولوجيا الخضراء: [3]

يعتبر مساهمة حاسمة من أجل إعادة تأسيس تلك العلاقة المفقودة بين الانسان والله والطبيعة في فترة *الانثروبوسين* (فترة الانسان الحديث الذي أحدث تغييرا في الطبيعة)، كما انها مساهمة رائدة ومفتوحة على تخصصات أخرى من اجل إيضاح عمق الرهان

[1] نفسه ص 120، 121.

[2] Christophe Monnot et Frédéric Rognon, ***La Théologie verte*** ,Labor et Fédes ,2021 par corlet, France p192

[3] Ibid 192.

الايكولوجي والمناخي والاجتماعي، لتظهر أرضية مليئة بالآمال من خلال إعادة الاعتبار لنظرتنا للطبيعة عبر مذهب **وحدة الوجود**، ومناسبة أيضا لإعطاء الصدى لما يحمله اللاهوت الايكولوجي للكنيسة الأرثوذكسية

يكتب بعيدا عن الثنائية

التركيز أولا على ضرورة ثيولوجيا أو **لاهوت أخضر**، أنه ضرورة الخوض في هذا المسعى الجذري، ليس من موقف متطرف أو بعيد وانما نبدأ من اشتقاقها اللغوي اللاتيني الذي يفرض علينا الذهاب الى أصول الانهيارات الحاصلة والاتية، تلك الأصول هي ثقافية وبسيكولوجية وروحية، يقول البطرياق قنسطسنيوس الأول " إن الازمة الايكولوجية متعلقة بنظرتنا وتصورنا للعالم" تلك الطريقة السيئة في تعاملنا مع الطبيعة هي نتاج النظرة التي نحملها تجاهها.[1]

هي نتاج النظرة الاختزالية، المنزوعة القداسة، والثنائية، والعقلانية والنظام الابوي الموروث عن الحداثة الغربية، (الانثروبوسين) تلك النظرة المشبعة بنظام التطويري، الإنتاجي والنزعة الاستهلاكية المسيطرة، وكذا المسيحية، خاصة الغربية (البروتستنتية)، ليست بريئة عن هذا المسار، وبإيجاز في كلمتين، الوجود الإنساني وضع في مركز الكل، وضع خارج وفوق الطبيعة.

هذا المشهد الاستبدادي، يأخذ شرعيته من التأويل الديكارتي لبعض الآيات في سفر التكوين الإنجيلي، التي لا تنفك عن التفرقة بين المخلوق وغير المخلوق،، ومع الحداثة[2]، ومنذ نهاية القرون وسطى، بدانا نشهد تشييء الطبيعة، والاله تم اقصاؤه في تعال لا يمكن بلوغه أو بعيد المنال، والطبيعة تم افراغها من كل باطنية روحية، وتم اختزالها في بعدها المادي فقط، مع مرور الوقت،على انها مجرد مصدر للثروات، ورأسمال تجاري، " الازمة

[1] Ibid p 193

[2] Ibid p193.

الايكولوجية هي ازمة ثقافة الحداثة التي فقدت معنى قداسة العالم لأنها فقدت علاقتها بالله" يقول **الثيولوجي جان زيزيولاس.**

إن الرهان الأساسي اليوم يذهب الى ابعد ما تراه المسيحية في ما يتعلق بالبيئة " والذي يختصر في حماية المخلوقات" بل يتعلق بتغيير النموذج المعرفي الحداثي " براديم" اننا بحاجة الى ثورة ثقافية بيئية شجاعة ..يقول الاب فرانسوا " إن قضية البيئة لا تظهر بذاتها في الايتيقا او الأخلاق، أنها قضية انطولوجية تتطلب بنمط جديدة في التواجد، و بتغير جذري في الموقف، نظرة جديدة وادراك جديد."

هنا يعني امرين أساسيين، الخروج من النزعة الثنائية (الديكارتية، الذات/ الموضوع، الاله / الانسان) وإعادة تأسيس تمثلنا للطبيعة، باستعادة روحها ...

حضور الإلهي في المخلوقات:

إن التقليد التوراتي والانجيلي يحمل في ذاته الكثير المصادر للإعادة الافتتان والقداسة المفقودة في علاقتنا بالطبيعة، خاصة في ما يتعلق بالعودة الى مفهوم " الخلق"، انه يتضمن ثراء روحي كبير وتوافق ايكولوجي غلبا ما أسيئ تقديره. بشرط اعتباره كمفهوم "عرضي" و "مرتحل" الذي يبدع ويكشف الحقيقة بدل إرادة السيطرة والاخضاع"، كذلك بشرط تطهيره من كل بقايا الثنائية التي تصنع البون بين الاله والانسان والكون، إن ثراء المفهوم هو مزدوج، أولا الخلق الذي يشمل (يحيط) بمجمل العالم المخلوق، المرئي مع كل الكائنات الإنسانية، والكائنات غير مريئة، وبعدها احداث الوجود، وحضور الخالق[1] .

التعبير الأول لتلك العلاقة الانطولوجية المسيطرة في اللاهوت الغربي هي اعتبار" الخلق كتجلي أو تمظهر الله "، في الانسان، وفي الحيونات، الحشرات، والنباتات وحتى في اجبال، كل هذه العناصر هي " علامات على لطف ومجد الاله" انها مرآة الحب الإلهي

[1] Ibid p194.

وحكمته، وجلاله وجماله، انه الحقيقة المطلقة واللانهائية تنعكس في الوقائع المختلفة، المرئية والمحدودة والنسبية بقول الاب فرانسوا " ان كتابي ليس الا الكون، وفيه اقرأ عليكم اعمال الله"، وهناك الكثير من الشواهد عند اباء الكنيسة تبين ان الطبيعة هي تجلي الله.

من خلال ذلك يمكن ان نتقدم خطوة في التحليل، بمكن ان نرى في الخلق ليس فقط انعكاس الله ولكن مكان حضوره حيث ورد في انجيل يوحنا الاية 23 " ألست أنا الذي يملأ السموات والأرض"، الله يسكن في كل مخلوقاته في حميمية وجودها الخاص، **نحن الان في قلب مذهب وحدة الوجود،** كما يعبر عنها بوضوح **غريغوار بالاماس** " **الاله موجود في الكون، في الكون موجود في الاله** " **وهذا يؤكد** " **ان الكون هو انكشاف الله في الوجود**" **حيث يملأه في كل مكان** ويستدل أيضا بقوله " هناك سر الهي في أوراق النبات في قطرات الندى وحتى في تراسيم وجه الفقير" على عكس ما يراه الثيولوجي ذو الأصول الابروتستنتية **يورغن مولتمان** على ان "هناك فصل في التواجد المكاني بين الله ومخلوقاته "[1]

مذهب وحدة الوجود: هنا تضع وحدة بين الله ومخلوقاته ولكن بدون انصهار أحدهما في الاخر في هوية شاملة، اذ هناك نوع من التمايز الضمني، لان المتناهي يخضع للامتناهي وليس ليس العكس، حيث أن الخلق ليس في جوهره إلهي ولكن يمكن ان تشارك في حياة الاله. ..**كل شيء هو موجود في الله ولكن الكل ليس هو الله،** الله موجود في كل الأشياء ولكن ليس منصهر فيها، انه محايث في تعاليه ومتعال في محايثته. وهذا لب النظرة الحلولية المسيحية " وحدة الوجود" .

وحدة والوجود موجودة في قلب المقاربة الارثذوكسية للايكولوجية، في علامة فارقة، وبشكل ملحوظ في التقشف بوصفه طريق نحو الاعتدال السعيد، وطريقة ان تكون قداسا بوصفها ترياقا للإنسان الاقتصادي، انه راسخ في نصوص اباء الكنيسة مثل هذه التاويلات

[1] Ibid p195

مستقاة من حياة إبراهيم النبي على حسب قول بارثلومي الأول " الاله كان يتجلى لإبراهيم في المخلوقات، وفي البشر الزائرين له، وفي الملائكة التي تظهر له في شكل بشر، ان الله كان يظهر له في كل العالم".

هناك مصدر اخر لهذا التأويل في الفلسفة الكنسية الروسية، في القرن 19 م، للاب **سارغ بولغاكوف** " العالم ليس موجود في ذاته إلا من خلال وجوده في الله، والله ليس ماكث فقط في السموات، انه موجود على البسيطة وفي العالم مع البشر" .[1]

إن حضور الإلهي في قلب الأشياء هو ثلاثي (تثليثي)، اله واحد " فوق كل الأشياء، عبر كل الأشياء، وفي كل الأشياء" وتأويل ذلك : فوق كل الأشياء بوصفه الاب، عبر الأشياء بوصفه الابن، و في الأشياء بوصفه روح القدس.

الطريقة الأولى لحضور الله في العالم هي اللوغوس، الكلمة الإلهية، مبدأ كل الخلق، حيث أن اللوغوس يقيم في كل مخلوق، أكثر من ذلك كل مخلوق يحمل بصمة لوغوس غير قابلة للمحي والتي تعكس سبب وجوده في فكر الله، لقد ورد في سفر التكوين الفصل الأول أن الخلق هو خير ليس بمدى تمامه وانما بمدى مطابقته لرسم الإلهي، ان اللوجوس بالنسبة لكل مخلوق هو الحمض النووي الروحي للإله، كمثل صورة الله في البشر. لذلك المخلوقات مرتبطة بالله وتمثله، انها تعرف ماهية كل مخلوق في مبداه، في هويته في نظامه وفي حركته وفي غايته، لان كل مخلوق لا يوجد في حد ذاته الا من خلال اللوغوس، الذي عمل على مشاركته في الله، وعندما ينفصل المخلوق عن اللوغوس لا يصبح له وجود، لان اللوغوس يحتوي على كل المعلومات التي تعرف المخلوقات في انتماءها المشترك لنفس النوع، وفي خصائصها الفردية وعلاقتها بالأنواع الأخرى، نحن هنا الان امام أساس ثيولوجي لقيمة العلاقة الضمنية بين المخلوقات بعيدا عن كل منحى نفعي للإنسان، لان كل مخلوق

[1] Ibid p 196

لا يوجد بذاته إلا من خلال علاقته بمخلوق اخر في تناغم كوني شامل انطلاقا من مكانه ومن الدور الذي يلعبه .

إذا كان الوغوس موجود في كل المخلوقات هذا يستوجب تعايشها المشترك لأنها تنتمي لنفس الاصل، هذا التأويل للوغوس المحايث في العالم والمتعالي عنه في ان معا، يعنى بان الكلمة الإلهية تؤسس للوحدة العميقة والعضوية والباطنية لكل المخلوقات، كما انها تمثل بوصفها " حب الهي لامتناهي" الرابط الجوهري بين كل الكائنات وكل الأشياء، ومن ثم نجد هنا الأساس الميتافزيقي لكل ثيولوجيا كونية cosmique، خاصة اذا اعتبرنا اللوغوس الطرف الثاني في التثليث، حيث تجسدت كلمة الله في جسد يسوع المسيح، هذا الجسد ليس فقط انساني بل أيضا ارضي وكوني .

نظرية الفيض الإلهي:

في التقاليد الارثذكسية هناك نمط ثاني لتجلي الله في المخلوقات، انها تسنى الفيض الإلهي، نجد هذا التفسير عن اللاهوتي **غريغوار بالاماس** في القرن 16 م، ومجمل تلك النظرة هي " قدرة الانسان على معرفة الله بدون واسطة وبصورة مباشرة" ويرى ان لها جذور في التفسير التوراتي مثل تجربة تجلي المسيح في بجل طور . Thabor

فإذا كانت " اللوغوس يمثل إرادة الله في الخلق " فان الفيض الإلهي يمثل التجليات الأبدية لله نفسه، في العالم ومن ثم يصبح الاله محايث وقابل للمعرفة وقابل للتسمية، .... على عكس فكرة التعالي .

طريقة المعرفة المتكاملة [1]

أن **اللاهوت الأخضر** يستحق هذا الاسم من خلال طريقة المعرفة، **فالايكولوجية المتكاملة** تتطلب ليس فقط " انثروبولوجيا ناجزة " ولكن أيضا معرفة متكاملة، هي المعرفة

[1] Ibid 201

التي تدمج العلاقة بين القلب والذكاء الجسدي عن طريق الحواس، والعواطف عن طريق الانفعالات، والعقل وكل ما هو روحي عن طريق الروح.[1]

يقول اللاهوتي باثلومي الأول " عندما نبدأ نحن بتعلم ابجديات اللغة الإلهية نكتشف ان اسرارها مخبئة في الطبيعة " لذلك العقل المنطقي الذي تضعه الحداثة على انه سيّد المعرفة لا يكفي هنا، المفتاح وهو ايقاظ الروح (النوس بالاغريقة، والانتليكتوس بالاتينية) حيث ان الغرب محى معناها الحقيقي واختزال الكائن الإنساني في تركيبة جسمية . نفسية، ان ملكة الروح نجتاز بها ظاهر الأشياء لنصل الى رؤية جوهرها ومعرفة وسببها النهائي كما نعرف سر الوجود والخلق والفيض الإلهي، " بنورك يا الله نعرف النور "

نحن هنا امام معرفة مباشرة وفورية بعيدا عن كل ثنائية (ذات . موضوع)، معرفة بالمشاركة الوجدانية، والحدس، يقول المسيح " اخوتي، احبو كل المخلوقات، الحيوانات النباتات، وكل الأشياء، لمعرفة السر الإلهي للأشياء" (**دوستوفيسكي الاخوة كارامازوف)**

الفضيلة الايكولوجية:

من خلال تلك الوجهة الروحية يمكن تغير النظرة والموقف تجاه الكائنات " اذا كانت الأرض مقدسة فان علاقتها بالمحيط والبيئة تكون أيضا مقدسة " الاب فرانسوا " في كل المخلوقات تسكنها روح الله الحية والتي تدعونا للارتباط بها"، وان تمثل هذا الحضور الإلهي في المخلوقات يحثنا على انماء فكرة الفضيلة الايكولوجية. [2]

بالفضيلة نتمكن من الانصات للمواقف الأخلاقية، فاذا كان الخلق هو البيت/ البيئة (***oikos***)، التي يسكن فيها الانسان والاله انها تستحق الاحترام الكبير، أن البيئة هي هبة الحب الإلهي لكل الكائنات الحية وفيها يتجلى جمال وخير الخالق ومن ثم تقع المسؤولية

[1] Ibid p 196.

[2] Ibid 202

على عاتق الانسان في الاستجابة لكلمة الله وتصبح الفضيلة الايكولوجية طريقة في الوجود الإنساني وتحقيق لمبدا وحدة الوجود.[1]

ثراء استراتيجية وحدة الوجود

وحدة الوجود هي قلب اللاهوت الايكولوجي الارثذوكسي، انها حاضرة بطريقة ضمنية او مصرح بها، في تقاليد مسيحية أخرى اين تأخذ اشكال أخرى، مثل المسيحية المركزية (christocentrisme) عند تايلار دو غارديان، ويورغن مولتمان (البروتستنتية) وغيرها.

وحدة الوجود تعتبر جد مهمة لتطوير فكر لاهوتي بيئي، لعدة أسباب، منها:

أولا/ تمكننا من الخروج من الثنائية الانطولوجية بين بين الاله والخلق، بإعادة ايجاد التوازن المفقود بين التعالي والمحايثة (وهي اشكال لاهوتية كلاسيكي)،

ثانيا/ تفتح لنا فضاء للحوار مثمر مع تقاليد أخرى في الحكمة، (مثل البوذية والهندوسية، وفكر غاندي، ولا كبال اليهودي وأيضا فكر بن عربي في الإسلام) كلها تجارب روحية عرفانية حلولية ذات مشكاة واحدة .[2]

ثالثا/ وحدة الوجود تربط رغبة العديد من الأشخاص (خاصة المتدينين المسحيين) لخوض تجربة الإلهي في الطبيعة، انها تؤسس لفضاء رحب للكثير من التيارات ذات الوجهة الروحية الايكولوجية، والتي تجابه فكرة الفصل بين المقدس والأرض، وذلك ليس بتأليه المخلوقات بل بإعادة الاعتبار لبعدها الروحي، " إن المقدس يستحضر الأعماق الرائعة، نحن بالإمكان معرفة بعض الأشياء ولكن في الحقيقة لا نعرف إلا ظلها " توماس بيري، والان مع اشعاع وحدة الوجود لدينا واحدة من تجليات المقدس الذي يمكن ان يغير نمط التفكير في وعي جديد على وشك البروز.[3]

---

[1] Ibid p 202

[2] Ibid 203

[3] Ibid p 205

المبحث الثاني : مفهوم الايكولوجية العميقة في مقابل الايكولوجية السطحية.

أرني نايس والإيكولوجيا العميقة :

من هو أرني نايس ؟ هو فيلسوف نرويجي ارتبط اسمه بأهم مذهب بيئي معاصر، وهو ما عرف بالإيكولوجيا العميقة Deep Ecology حيث انه هو صاحب هذا المصطلح.

ولد نايس في النرويج في السابع والعشرين من يناير 1912م، وتوفي في الثاني عشر من يناير 2009م، واشتهر في حياته بالاهتمام بالبيئة، وشارك في العديد من المظاهرات لحماية البيئة في النرويج، وقد كان مرشحا سياسيا عن حزب الخضر النرويجي، وفي عام 1939م، كان أصغر شخص يتم تعيينه أستاذا في جامعة أوسلو، وكان الأستاذ الوحيد للفلسفة في البلاد آنذاك.[1] وقد فاز في عام 2005م، بجائزة نوردك للأكاديمية السويدية التي عرفت بنوبل الصغرى.

اهتم نايس في فترة من حياته الأكاديمية باللغة والفلسفة التحليلية، ومن أعماله الرئيسية بحثه الموجز (الضحل والعميق– حركات الإيكولوجيا بعيدة المدى) الذي قدمه خلال مؤتمر مستقبلات العالم الثالث الذي عُقد في بوخارست عام 1972م، وقد نشرت في المجلة الفلسفية الدولية Inquiry صيف عام 1973م،[2] وقد بدأ نايس يكتب ويحاور في الفلسفة والإيكولوجيا في جامعة أوسلو حتى تطور هذا العمل إلى كتاب كُتب باللغة النرويجية، وكان أول كتاب في الفلسفة البيئية يكتبه فيلسوف محترف، وقد تواصل إجراء التعديلات عليه حتى صدر عام 1989م، منقحا ومترجما إلى الإنجليزية تحت عنوان : الإيكولوجيا والمجتمع وأسلوب الحياة.

---

[1] مصطفى النشار، مدخل الى فلسفة البيئة، مرجع سابق، ص 87 .

[2] نفسه صفحة.

والحقيقة التي يشير إليها المؤرخون هي أنه قد استنبط هذه الفلسفة البيئية من تأثره بفلسفات اسبينوزا وغاندي، وقد دعاها الحكمة الإيكولوجية Tنسبة إلى كوخه الجبلي المتواضع على قمة جبلية عالية بين أوسلو وبيرغين، وتتأسس الحكمة الإيكولوجية Tعلى معيار نهائي واحد هو تحقيق الذات الذي يشير إلى الطبيعة كلها، وإلى كل فرد من البشر أو من غير البشر في الطبيعة يحقق ذاته[1].

بدأ نايس يكتب ويحاور في الفلسفة والإيكولوجيا في جامعة أوسلو في عام ١٩٦٧ وقد تطور هذا العمل المبكر إلى كتابه باللغة النرويجية **Okologie,Samfunn og Livsstil:**

وهو أول كتاب في الفلسفة البيئية يؤلفه فيلسوف محترف، يعتبر نايس ناطقا عالميا الأكثر تأثيرا باسم حركة الإيكولوجيا العميقة، وخلال أواخر الستينيات بدأ نايس في استنباط فلسفته الإيكولوجية الشخصية الخاصة مستندا إلى فلسفات "إسبينوزا و غاندي" وقد دعاها الحكمة الإيكولوجية" T "نسبة إلى تيفرغاستين Tvergastein كوخه الجبلي المتموضع على قمة جبلية عالية بين أوسلو وبيرغيسن.

إن الثورة البيئية في الستينات وصعود الحركات الايكولوجية الجذرية التي تنادي بالتحول من المركزية البشرية الى المركزية البيئية اعتبر ان النقد الايكولوجي للمركزية البشرية أصل الازمة البيئية وقد انتشر هذا النقد بين المحافظين والايكولوجيين طوال الستينات.[2]

تتأسس الحكمة الإيكولوجية Tعلى معيار نهائي واحد هو تحقيق الذات **Self Relization** والذي يشير إلى الطبيعة كلها وإلى أن كل فرد من البشر أو غير البشر في

[1] . نفسه ص 88

[2]. مايكل زيمرمان، فلسفة البيئة من جقوق الحيوان الى ايكولوجيا جذرية، مرجع سابق، ص 235.

الطبيعة يحقق ذاته . فالإيكولوجيا العميقة هي في آن واحد حركة ناشطة إجتماعيا–سياسيا وحركة فلسفية وقد صور نايس عام ١٩٨٤برنامج حركة الإيكولوجيا العميقة ذا النقاط الثماني الذي يبدأ بالمعايير الفلسفية الأساسية المتمركزة ايكولوجيا لحركة الايكولوجيا العميقة ثم يقود إلى أحكام سياسية عامة حول النشاط والتغيير، اذن ثمة مواقف متميزة (أ) البحث الذي قدم عام 1972 في بوخارست حول الايكولوجيا الضحلة والعميقة (ب) الحكمة الايكولوجية T أي النظرة الشاملة الخاصة الخاصة بنايس (ج) برنامج النقاط الثماني في عام 1984 وقد نجم عن ذلك ارباك كبير حول ما تمثله فعليا حركة الايكولوجيا العميقة، وتضاعف هذا الارباك أيضا في عام 1990 عندما نشر الفيلسوف الأسترالي ورويك فوكس كتابه (نحو ايكولوجيا عبر شخصية)، حيث حاول فيه المطابقة بين الايكولوجيا العميقة ومفهوم تحقيق الذات وهذه المطابقة تعبر بشكل اساسي عن نسخة فوكس **ال** (عبر الشخصية) من علم النفس الايكولوجي.

اعد نايس برنامج النقاط الثماني عام 1984 كي يحل محل بحث بوخارست العائد إلى عام 1972 كوصف معاصر لحركة الايكولوجيا العميقة وبرنامج النقاط الثماني هو قلب الايكولوجيا العميقة، وقد اعترض بعض نقاد الايكولوجيا العميقة على ملاحظات ناشطي منظمة الأرض اولا .Earth First

ان تحقيق الذات محوري في النظرة الشاملة إلى الحكمة الإيكولوجية Tالخاصة بنايس وكذلك بالنسبة إلى الإيكولوجيا العميقة: غير شخصية عند فوكس لكنه لا يمثل حركة الإيكولوجيا العميقة، كما يقول ماكلوهلن لا تكمن في المماحكة الفلسفية بلا طائل بل في الفعالية البيئية والتغيير الاجتماعي وذلك بهدف إحداث ما يدعوه نايس إستدامة إيكولوجية شاملة يعني بها حماية الثراء والتنوع الكامل لجميع أشكال الحياة على كوكب الأرض.

ومن ثم شهد القرن العشرين زخما كبيرا في الاهتمام بالفلسفات البيئية ولم يكن هذا الزخم نتاجا لترف فكري بل كان نتاجا لتحديد واقعية وكوارث طبيعية فرضت نفسها وبقوة على البشرية ومن أبرز هذه الكوارث: التلوث العالمي، والاحتباس الحراري، وانقراض الكثير من الأنواع الحية وسعى الفلاسفة إلى وضع تصورات للخروج الأمن من هذه الازمات، لكن ما تتميز به اطروحة نايس الفلسفية عن غيرها هو انها حاولت التوفيق بين متطلبات الحياة الإنسانية من جهة والحفاظ على الطبيعة والكائنات الأخرى من جهة ثانية [1].

ويتجلى هذا الوضوح في قاعدين طرحها نايس كمعيار للتفاعل الإنسان مع العالم الطبيعي وهما: قاعدة الاحتياجات الحيوية، وقاعدة القرب بالفعل

تتسم ايكولوجيا نايس العميقة بتقديم نظرة كلية للازمة البيئية ومعالجة كل ابعادها الاقتصادية السياسية الدينية والفلسفة.

دفع الشعور المتزايد بتهديد الحياة على كوكب الأرض العديد من الفلاسفة إلى تغيير توجهاتهم الفلسفية، فلم يعد من المعقول بالنسبة لهم في ظل هذه الأزمات أن تحتل مشكلات المعرفة والمنطق والميتافيزيقا أولوية التفكير والعمل فالحياة واستمرارها وما يتعلق بهما من قيم يجب أن تحتل الصدارة. فقد اهتم نايس لأكثر من ربع قرن بالسيميوطيقا وفلسفة العلم لكن تهديد الكوارث البيئية دفعت إلى ترك هذه المشروعات الفكرية وتوجيه أن[2]ضاره إلى ترك هذه الإيكولوجية لإلتماس سبل النجاة وقد عبر نايس عن هذه الضرورة الملحة في إعادة حشد الجهود العقلية بما يساعدنا على تجاوز هذه الأزمات قائلا: «إن اهتمام الفلسفة الغربية في القرن العشرين بفلسفة اللغة بدلا من الكون وبالمنطق بدلا من الخبرة والحياة هو حالة من حالات العماء الشامل".

[1] . وجدي خيري غنيم، الايكولوجية العميقة عند ارني نايس، مرجع سابق ص 1479.

[2]. المرجع نفسه،ص 1481 .

ليس نايس هو وحده من اضطرته التحديات الجديدة إلى تغيير مجال اهتمامه بل حدث هذا أيضا مع هانس يوناس الذي كان مهتما بدراسة الديانة الغنوصية، لكنه تحول عنها بحكم الظرف الجديد يقول يوناس في هذا الصدد: "كان ينبغي علي أن أوقف العمل في المشروع الغنوصي لأن شيئا ما أكثر أهمية قد حدث وهو الانهيار الذي يهدد العالم ".[1]

قدم الفلاسفة المهتمين بالشأن البيئي على تنوعهم واختلاف مشاربهم إسهامات شتى لوضع تصورات للخروج الآمن من هذه الأزمات ومحاولة التغلب عليها ورام هذا التنوع، ورغم هذا التنوع إلا أن هناك الكثير من القواسم المشتركة بينهم خاصة فيما يتعلق بتشخيص أسباب المشكلات. إذ يبدأ الكثير منهم أمثال يوناس وكايرا وتايلور ورنجر... بنقد الحداثة الفلسفية والعلمية في القرنين السابع عشر والثامن عشر وتحميلها مسؤولية الأزمات والشرور الموجودة في عصرنا الراهن، فيستهلون فلسفتهم بنقد الثنائية الديكارتية ونقد المنهج العلمي الجديد عند بيكون ونيوتن ونقد الأخلاق الكانطية.[2]

حظي هذا النقد الايكولوجي للمركزية البشرية بالتعبير أكثر وضوحا من خلال كتابات لين وايت والمعنون ب"**الجذور التاريخية للازمة البيئية**" حاجج وايت بان المسيحية نزعت القداسة عن الطبيعة وشجعت استغلالها واتستحث النظرة الى العالم متمركزة بشريا رسمت البشر في مواقع اسمى من بقية الطبيعة.[3]

فضلا عن نقد فلسفة الأنوار ودورها في التجرد من الأساطير، فما يأخذونه جميعا على هذه الفلسفات هي أنها تكرس لسمو العقل، ومركزية الذات الإنسانية وتدعو إلى

---

[1] نفسه ص 1481

[2] *Arne Naess* ***La realisation du soi,*** **Spinoza, le bouddhisme et l'écologie profonde**, *trd par Naid Mubalegh, édition Seuil,2018. P33.*

[3] . مايكل زيمرمان، فلسفة البيئة، من حقوق الحيوان الى ايكولوجيا جذرية، مرجع سابق ص 236.

السيطرة على الطبيعة، لكن فلسفة نايس تختلف عن هذه الفلسفات من حيث المقدمات والنتائج.

وقد تحولت الإيكولوجيا العميقة إلى حركة سياسية واجتماعية وكذلك حركة فلسفية عبر عنها نايس في صورة جلية فيما أطلق عليه برنامج حركة الإيكولوجيا العميقة ذا النقاط الثماني في عام 1984م، هذا البرنامج الذي يبدأ بالمعايير الفلسفية الأساسية المتمركزة إيكولوجيا لحركة الإيكولوجيا العميقة، ثم يقود إلى أحكام سياسية عامة حول النشاط وأسس التغيير. وهذا يعني انه أمام ثلاث مراحل أساسية في الإيكولوجيا العميقة.

المرحلة الأولى التي عبر عنها نايس في بحثه المركز الذي كتبه للمؤتمر الدولي الذي عقد في بوخارست [1] عام 1972م، ونشر عام 1973م، حول الإيكولوجيا الضحلة والعميقة.

الحكمة الإيكولوجية T، أي النظرة الشاملة لما أسماه نايس تحقيق الذات.

البرنامج الذي قدمه للحركة الإيكولوجية المكون من النقاط الثماني الذي كتبه عام 1948م، وقد عد هذا النص الأفضل ايجازا لموقف حركة الإيكولوجيا العميقة. [2]

- ماهية الإيكولوجيا العميقة؟

إن انبثاق حركة الايكولوجيين خارج تلك العلاقة المبدئية والغامضة مع الحركات السياسية أسست منعطفا بالنسبة لمجتمعاتنا المعاصرة، ولكن رسالتهم تم تشويهها واستعملت بطريقة سيّئة، فهناك حركة ايكولوجية سطحية تمثل اليوم القوة على الساحة، وحركة

[1]. نفسه، ص 88 .

[2] مايكل زيمرمان، الفلسفة البيئية، مرجع سابق، ص 246.

ايكولوجية عميقة وهي اقل تأثيرا اليوم، فما المقصود بالحركتين البيئيتين في نظر أرني نايس؟

الحركة الايكولوجية السطحية: تناضل ضد التلوث ونضوب الموارد الطبيعية، هدفها المركزي هو الصحة، الوفرة المادية لسكان في الدول المتقدمة.

حركة الايكولوجية العميقة: رفض صورة الوجود الإنساني في خضم البيئة مع تفضيل الصورة الارتباطية لمجال النظرة الشاملة، حيث أن كل كائن هو سند للأخر في **علاقات ضمنية أصيلة**، علاقة ضمنية بين شيئين A و B، مثل تلك العلاقة الظاهرة بين مفهومين أو بين بنائين أ وب، حيث أن غياب تلك العلاقة يؤدي لا محال الى التوقف عن وجودهما[1]

إن المبدأ الأساسي للأيكولوجية العميقة هو الاعتقاد بان البيئة المعيشية ككل ينبغي احترام حقوق كل من فيها للعيش والازدهار بصرف النظر عن الفوائد النوعية للاستخدام البشري، وهي تعتبر نفسها عميقة لأنها تبحث في عمق أكثر في الواقع الفعلي للعلاقة الإنسانية مع العالم الطبيعي والتوصل الى استنتاجات فلسفية أكثر مقا من وجهة النظر السائدة في البيئة باعتبارها فرعا من فروع علم الاحياء.[2]

إن الايكولوجية العميقة في نظر مؤسسها ليست فلسفة أكاديمية بالمعنى الدقيق، كما لا تتأسس كدين وايدولوجية، أنها حركة يشارك فيها أناس يمثلون مجموعة من الأصدقاء للبيئة، وهم يدعمون نمط الحياة ذاته الذي ربما يضنه الاخرون بسيطا في حين يرونه غنيا ومتعدد الجوانب، كما يتفقون على مجموعة واسعة من القضايا السياسية كما أن في جميع الحركات الاجتماعية فان الخطابة والشعارات لا مفر منها من أجل التماسك الاجتماعي،

---

[1] *Arne Naess , **une écosophie pour la vie, (introduction à l'écologie profond)**,trd par Naid Mubalegh, édition Seuil, 2020, p 99.*

[2] نفسه ص 89.

ويرد هؤلاء الأصدقاء معا على التهديدات ذاتها بأسلوب بغلب عليه عدم العنف، ولعل المشاركين في هذه الحركة والأكثر تأثير هم الفنانين والكتاب الذي لا يعبرون عن تبصراتهم بلغة الفلسفة المحترفة، بل بواسطة الفن أو الشعر ويستند هؤلاء المنتمين الى هذه الحركة الى ما يمكن ان ننظر اليه كدستور لهذه الحركة، إنها المبادئ العامة او النقاط الثماني التي يستندون عليها والتي قررها نابيس مؤسس هذه الفلسفة والداعي لتلك الحركة :

هي المذهب الذي تبناه نابيس، وهو يعني احترام القيمة الذاتية لكل الكائنات الحية بغض النظر عن مدى فائدتها للإنسان. وهي دعوة لإعادة هيكلة جذرية للمجتمعات البشرية الحديثة وفقا لهذه الفكرة الرئيسية، ان الإيكولوجيا العميقة ترى أن العالم الطبيعي هو توازن معقد ودقيق من العلاقات بين الكائنات الحية التي تعتمد على بعضها البعض داخل النظم الإيكولوجية ولا يصح للإنسان أن يشكل أي تهديد لهذه المنظومة بتدخله فيها ليس للكائنات الأخرى فقط، بل أيضا لا ينبغي أن يشكل تحديدا لنفسه وموجوده على هذه البيئة.

المبادئ الثمانية للإيكولوجية العميقة:

أولا/ إن عافية وترعرع الحياة البشرية وغير البشرية على كوكب الأرض لها قيمة في حد ذاتها، وهذه القيمة مستقلة عن نفع العالم غير البشري للأغراض البشرية.

ثانيا/ إن ثراء وتنوع اشكال الحياة يسهمان في تحقيق هذه القيم، ولهما أيضا قيمة في حد ذاتها.

ثالثا/ ليس لبشر الحق في إنقاص هذا الثراء والتنوع الا من اجل تلبية الحاجات الحيوية.

رابعا/ إن ترعرع الحياة البشرية وثقافاتها يتوافقان مع عدد سكان أصغر، وان ترعرع الحياة غير البشرية يتطلب عدد السكان أصغر.

خامسا/ ان التدخل البشري الحالي في العالم غير البشري كثيف جدا، والوضع يتزايد سوءا.

سادسا/ لذلك فان السياسات يجب ان تتغير، هذه السياسات تؤثر في البيئات الأساسية الاقتصادية والثقافية والأيديولوجية، إن الحالة الناجمة عن هذا التغيير سوف تختف بعمق عن الحاضر. [1]

سابع/ سيكون التغيير الأيديولوجي الرئيسي هو ذلك الذي يثمن نوعية الحياة (الإقامة في أوضاع القيمة الاصلية) أكثر مما يشايع مقياسا للعيش متزايدا باطراد، ينبغي أن يكون ثمة وعي عميق بالفرق الكبير والرفيع.

ثامنا/ أولئك الذين يؤيدون النقاط السابقة عليهم إلزام مباشر بمحاولة انجاز التغيير.

فيما يتعلق بكثرة عدد السكان وتدخلهم في العالم غير البشري، فان الناس في البلدان الاكر غنى لا يستطيعون تخفيض تدخلهم الكثيف في العالم غير البشري بين عشية وضحاها، كما ان استقرار وخفض عدد السكان سوف يستغرق وقتا طويلا قد يصل الى مئات السنين، لذلك نحن نحتاج الى تطوير استراتيجيات طويلة المدى، المهم الان ان ندرك الخطورة الماثلة في كثافة السكان وتكاثرهم فضلا عن خطورة ثقل التدخل البشري في العالم البشري، ولا يعني رفعنا لشعار عدم التدخل ان على البشر ان لا يحولوا بعض المنظورات البيئية كما تفعل الأنواع الحية الأخرى، حيث ان البشر حولوا الأرض طوال تاريخهم وهم يواصلون ذلكن لكن المهم هو ادراك كيفية التدخل ومدى هذا التدخل، ومن ثم تكون ضرورة التقليل بقدر الإمكان من هذا التدخل وخاصة لدى الدول الغنية.[2]

---

[1] . مصطفى النشار، مدخل الى فلسفة البيئة، مرجع سابق، ص 90.

[2] . نفسه 91 .

إن الايكولوجية العميقة تواجه في حقيقة الامر بهذه النقاط الثمان العواقب الخطيرة على البيئة من التعامل البشري الحديث معها، على أساس تلك الافتراضات الأربعة الشائعة حاليا لدى أنصار المركزية البشرية بوجه خاص وهي: [1]

1/ يختلف البشر جوهريا عن المخلوقات الأخرى على كوكب الأرض، وهذا الكوكب يعدّ ملكية حصرية لهم.

2/ أن العالم ضخم وواسع، ولذلك فهو يؤم فرصا غير محدودة للبشر.

3/ ان الشر سادة مصيرهم يمكنهم اختيار أهدافهم والقيام باي شيء ضروري لإنجازها.

4/ ان تاريخ البشرية هو تاريخ التقدم ولكل مشكلة ثمة حل.

[1] نفسه ص 91 .

المبحث الثالث: العاطفة في مقابل العقل لفهم الطبيعة أو فلسفة الحياة العاطفية لفهم الكائنات الحية.

الحياة الإبداعية في الطبيعة:

يرى ارني نايس أن الحركة الإيكولوجية العميقة تتوافق مع حقيقة أن أولئك الذين يدعمونها يدافعون عن الأنظمة الفلسفية أو الدينية التي تتعارض جزئيا مع بعضها البعض[1].

أنصار هذه الحركة يعملون على قضية مشتركة بالرغم من خلافاتهم، لديهم على سبيل المثال قواسم مشتركة في التفكير والشعور بأن جميع الكائنات الحية لها قيمتها الجوهرية أي مستقلة عن قيمة الاستخدام التي يمكن أن نوفرها للبشر، وتبرير ذلك منطقيا ومن خلال استحضار المشاعر لكنهم يؤسسون هذا الاعتقاد على قيم جوهرية مختلفة، بعضهم مسيحيون وآخرون بوذيون وآخرون يهود والبعض الآخر ليس لديه معتقدات دينية، هناك تعددية لا تقدر بثمن على هذا المستوى هذا ما أسميه المستوى الأول، نحتاج إلى مجتمعاتنا الخالية إلى تغييرات مثل العقل و العواطف وهي قابلة للدعم المتبادل .[2]

نعير بعضنا البعض الدعم المتبادل وبعبارة أخرى ليس فقط تغيير من شأنه أن يجلب معه جميع الجوانب الأساسية لمجتمعاتنا الصناعية، هذا ما يسميه نايس التغيير النسقي قد يكون مؤيدو هذا التغيير مسيحيين أو مناهضين للمسيحية أو لا أدري قد تكون مستوحاة من فلسفة اسبينوزا في التفكير في أن اسبينوزا مكروه، على هذا المخطط الذي هو الأكثر عمقا أي مستوى الأحكام القيمية، لحسن الحظ أن التنوع هو الذي يسود، لا يوجد أي إجماع هذا الأخير يعني نوع من الافقار، من خلال تسوية حياتنا الفكرية والعاطفية.

[1] Arne Naess, Une ecosophie pour la vie 137

[2] Ibid 138

التعمق يعني النزول إلى المبادئ الأساسية لما نقدره أكثر في الحياة، مسارنا المأساوي عندما نأخذ طريق نتبع فيه وبطريقة معقولة يتم توجيهه وفقا للاختيار القيم التي تكون دائما مدفوعة بالعواطف، يرى مؤيدو الحركة ويشعرون بإمكانيات تغيير مسار العالم وقدرات الجميع على مساهمة في تحقيق هذه الغاية، **غاندي** يؤمن بشكل لا يتزعزع بعظمة كل الرجال والنساء بغض النظر عن وضعهم الاجتماعي، ولم يكن أقل اعتقادا راسخا في إمكانية ايقاظهم للعمل هذا الاحتمال الأخير يفترض وجود ثقة كاملة بالنفس، وهذا ما سعى إليه **غاندي** من خلال العيش بين أفقر الارياف الإنسانية، ودعوتهم إلى الارتباط مع بعضهم البعض ضمن حركة واسعة غير عنيفة.

منع الإنجليز الهنود من إنتاج الملح بأنفسهم مما أجبرهم على شرائه منهم وكان غاندي مقتنعا بأنه اذا استطاع اقناع عدد كبير من الهنود الفقراء بالسير اتجاه البحر أو الحياة كمنظر طبيعي مفتوح، يتكون الملح بعد تبخر الماء ولا يمكن لأي قوة على الأرض أن تمنعهم من الاستيلاء عليه واتضح أنه صحيح هذا مثال رائع للعمل الإيجابي الثوري بدون عنف وبلا كراهية، أذهلتني مسيرة الملح كثيرا كان هناك مزيج ذكي بين العقل والتأثير.[1]

ماذا عن المشاعر الدينية ؟

يصوغ العديد من مؤيدي الحركة المؤيدة للبيئة قيمهم الأساسية الخاصة بناءا على المشاعر والتجارب الدينية كان هذا هو الحال أيضا مع غاندي أما أنت فقد قلت بوضوح أنه ليس لديك معتقدات دينية، ومع ذلك فأنت مستوحى من تعاليم غاندي والبوذية والهندوسية وتجعل من اسبينوزا فيلسوفا يبدو مخمورا تماما من الله،

[1] Ibid p139.

يرى نايس أنه من الصعب التحدث عن المشاعر الدينية عندما أعلن أنه ليس لديه معتقدات دينية، فإنه يعني هذه الكلمات بمعنى أنها عادة ما تكون، ليس ليدها انتماء طائفي إلى دين يضم عقائده وأصوله الدينية، لاشك في أن نايي في شبابه تأثر بشكل المسيحية التي غُرست في داخله بشكل غير رسمي وعلى وجه الخصوص من قبل القس باستور، الذي أعدنه للتعميد كان رجلا شديد الجدية يلوح بذراعيه نحو السماء، لاحقا تعلمت عدم الثقة في الدوغماتية الموجودة غالبا في الحركات الدينية والتي يتم تمييزها بشكل منهجي بجمل تبدأ بالكلمات " ستفعل..."!!،و" لن تفعل..."!، ولكنك محق في التذكير بأن البعض لم يتردد في إسناد معتقدات دينية أو روحية لي على أساس أنني أعتقد ذلك.[1]

الإنسان البيئوي: كائن جديد يطلع علينا محاكا بخيوط الحلم الإغريقي بقدرة العقل البشري للإنسان الراضي للدين نصف متحرر من فترة النهضة موصدا دونه في عدة طرق جديد يدعى الثورة الصناعية، مثلا ومعمى بالمثال المادي في القسم الأول من الفترة العشرين ألا وهو

من نفق الأدغال الصناعية الاستهلاكية نحدد متهيبين من نور جديد أوفر غنى تجربة التقدم المادي بحرية الحركة بقدرة على رؤية العالم برمته ضمن جدران غرفتنا وأفقر بالبائد من الغابات والمروج والوديان المغطاة بأشرطة الإسمنت، بالثقافات المكتسحة من على وجه البسيطة، بيد أننا أوفر غنى بالتجربة المؤلمة، التي تخبرنا بوجوب سيرنا على دروب جديدة لكننا لا نزال في البداية فقط بل علينا أن نقوم بقفزة خيال من التصور النيوتني الحتمي للعالم الذي نتحرك فيه ونتكيف بالقوى الفيزيائية التي لا تلين إلى تصور للعالم نكون فيه المحركين[2].

[1] Ibid 139

[2] هنريك سكوليموفسكي، فلسفة البيئة، مرجع سابق، 169.

بدايات الإنسان مستترة في الغبار الكوني غير أن التطور عبر مليارات السنين من ابداعه ابدع وبنى موجودات فيها من الحذق والتعقيد ما يلامس الإعجاز ونحن واحدة من الصور المجسمة لهذا الحذق والتعقيب، لكن هذا ليس من فضلنا فما نحن الا وعاء خزن فيه التطور ونمى بعض أثمن مقتنياته فلقد قاد النمو الوئيد للوعي على مستوى الإنسان العاقل إلى تفتح الوعي الذاتي ومن بعد إلى بنية الوعي المزودة بالألوهية، ان الوهية الإنسان واحدة من التبلورات المميزة للنعمة التطورية، أن فرادتنا لا تتأتى من كوننا منفصلين عن بقية الكوزموس ومقضي علينا بالوحدة البشرية كما كان يرى الوجوديون ولا يتأتى من كون الإنسان مقياسا لكل الأشياء كما كان يريد بروتاغوراس والإنسانيون التقليديون، إنما فرادتنا عميقة الجذور في كوننا الأوصياء على متحف الكنز الذي يفوق حد التصور والذي أبدعه التطور [1].

في هذه الرؤية للإنسان تفقد جزءا من البريق الذي يضفيه الإنسانيون التقليديون على الشرط البشري لكننا نفوز بشيء اهم، نحن الآن في اتحاد مع الكوزموس نحن جزء لا يتجزأ منه، نحن جزء من الدورة الرائعة التي تعاونت فيها الذرات الجامدة والغبار الكوني وهذا التصور للكون ولموضع الإنسان فيه يتأكد على نحو متزايد على يد الأسترو فيزياء وفيزياء القسيمات. في التعريف بالإنسان البيئوي بوصفه حزمة من الحساسيات من ضرورة صقل موصولة ولقد لعبت الحساسيات الدور الرئيسي في تدرج التطور وفي نشوء الإنسان.[2]

فإن عروج الإنسان قد جاء نتيجة للتوسيع والتصفية الموصولين للحساسيات التي تمخض عنها التطور إلى أن بلغنا الحساسيات الجمالية والحساسيات الخُلقية والحس بالألوهية، وهذا الحس هو واحد من الحساسيات البشرية، واحد من مقتنيات التطور كما أن الفطنة المنطقية اي المقدرة على مزاولة المنطق واحدة من الحساسيات أيضا والمعرفة كلها

[1] نفسه ص 177.

[2] . نفسه 178.

يأتي بها من قبل قدراتنا أو حساسياتنا وبعبارة أخرى واحد من القدرات على حيازة المعرفة ومزاولتها.

أن الغرض من كل الحساسيات الأخلاقية تعزيز الحياة وتوسعها وكلما كان مدى حساسياتنا انظم كانت الحياة التي نختبرها والواقع من حولنا أغنى وحين شرع التطور يرى من خلال مخلوقاته كان هذا الأمر خطوة جبارة في الصياغة التطورية للكون فانظر شكل من أشكال الحساسية وكذلك التفكير والوجد الصوفي، لذا فإن في التعريف بالإنسان بوصفه مختبرا لتوسيع مدى حساسيته والتطور نفسه مختبر أوسع مشغل كيميائي تبدع فيه وتصقل حساسيات جديدة على نحو موصول .يمكننا هذا التصور للتطور من النظر الى الكوزموس بأسره بطريقة جديدة ومن إعادة تقويم قيمنا وكذلك من إعادة بناتها وفيما يتعلق بالكوزموس عامة أو فيما يتعلق بغيرنا من البشر . الإنسان البيئوي يقدر ويقبل بواقع ان القيم الإنسانية وخصوصا ما يجعل منها حياتنا ذات معنى وتشكل أساس تفاعلنا مع غيرنا مز البشر ليست منزلة من السماء وليست مجرد قيم ذاتية واتفاقية وعرضة بالتالي إلى النزوات البشرية إنما بالأحرى ان أصلها ومعناها يكمنان في طبيعة السيرورة التطورية نفسها. في سيرورة صيرورتنا كنوع، ككائنات خلفية، وكعملاء يحسون بذواتهم.

لقد بات في وسعنا الآن ونحن ننظر إلى التطور بوصفه سيرورة انسنة وسيرورة موصولة لروحنة المادة (تحويل المادة الى روح). وان نرى القيم أشكالا صريحة ونصيحة للوعي فهي أشد الحساسيات التي طورها النوع البشري، ثم صنفها لاحقا وشرعها وما القيم الخلقية الا أشكال صريحة لحساسياتنا إزاء الإخلاص والإيثار والمحبة والرحمة.[1]

ان الأهمية الفائقة للقيم وصفتها المقدسة بوجه من الوجوه تتفرع عن واقع انها تتلخص وتتوج سمات الوجود البشري التي تصبح الحياة البشرية من خلالها نورا وتتخطى البيولوجيا

[1] نفسه ص 180.

وتصبح الهية وان عيش الحياة هو المشاركة في هذا النور وفي هذه الألوهية غير أن هذا النور وهذه الألوهية، معطيان لنا بالقوة وتحقيق هذه الإمكانية سيرورة عسيرة وشائكة تبدو مستحيلة أحيانا لكنه كاد أن يكون من المستحيل على التطور ان يحقق الإنسان لكنه حققه الإنسان البيئوي مخلوق التطور فهو يظهر عند عطفة أخرى حين يحقق التطور المزيد من تجاوز ذاته، التطور متواصل إلى مالا نهاية وهو يغير أشكاله ويغير معها الشرط البشري، ليس ثمة مطلقات في التطور فما ثم الا دفق موصول يتجاوز ذاته [1].

الحياة مزهرة ومتفتحة ومنطقة في أشكال جديدة وما نحن الا شكل من أشكال الحياة ونحن على دراية بفرادتنا وتفوقنا على أشكال الحياة الأخرى، لكن هذه التفوق ليس تفرقنا نحن بقدر ما هو تفوق الطبيعة، تفوق الحياة نفسها بقدرتها على التفتح عن الوعي الذاتي وقدرتها على كتابة الشعر من خلالنا.

[1] نفسه ص 181 .

الفصل الثالث

المبحث الأول: ارني ناييس في مناظرة مع المفكرين الايكولوجيين المعاصرين

يختلف ناييس عن الفلاسفة الآخرين اختلافا كبيرا ويتجلى هذا الاختلاف في نقطتين جوهريتين أولا، انه لا يتعرض من قريب ولا من بعيد بالنقد للحداثة ومنظريها في القرنين السابع عشر والثامن عشر، صحيح أنه ضد الثنائيات وضد النظرة النفعية للطبيعة لكننا لا نجد لديه نقد لديكارت أو بيكون أو نيوتن بل انه لا يذكر أسماء هؤلاء الفلاسفة في كتاباته كما أنه لا يحمل تطور العلوم الطبيعية والرياضية ومناهجهما اي قدر من المسؤولية عما آل إليه وضعنا الحالي، انه فيلسوف واقعي يدرك أن مشكلاتنا وليدة القرن العشرين وأن السبب الرئيس في حدوث هذه المشكلات هو التقدم التكنولوجي الهائل والتطور الاقتصادي الذي تحدد هدفه الأوحد في تحقيق المزيد من الأرباح والفوائد.[1]

لذلك يقترن حل هذه المشكلات لديه بتغيير النظام الاقتصادي وتعديل السلوك البشري في المقام الأول وليس بنقد تصور فلسفي وتبني أخر، ولا يعني هذا أن ناييس يلغي دور الفلسفة أو يقلل من أهميتها في مواجهة الأزمات لا بل تحظى الفلسفة لديه بمكانة كبرى في نشر الوعي وتغيير الثقافة الراهنة، لكنه يدرك في الوقت نفسه ان حل المشكلات الإيكولوجية سيغدو مستحيلا دوز إحداث تغييرات جوهرية في البنية التحتية "فمن غير الحكمة افتراض تحسنا يمكن أن يتحقق دون إحداث تغيرات عميقة في الأنظمة الاقتصادية فالقين يجب تعزيزها اقتصاديا واجتماعيا [2].

ما يميز أيضا ناييس عن فلاسفة البيئة الآخرين أنه لا يقلل من قيمة الذات الإنسانية العاقلة بل يعلي من قدرها على باقي الكائنات الحية عامة، وعلى الحيوانات العليا خاصة وذلك على كافة المستويات العقلية والبيولوجية، هذا التفرد للذات هو مايبرزه ناييس قائلا: "لا يجب أن نقلل من تفرد الموجودات البشرية إذ يخبرنا علم الحفريات عن انقراض ملايين الأنواع

[1] . وجدي خيري نسيم، الايكولوجيا العميقة عند ارني ناييس، مرجع سابق ، ص 1482 .

[2] . نفسه صفحة نفسها.

لكن بعد الموجود المفكر فريد بيولوجيا بي امتلاكه للعقل وفريد ماديا بين استخدامه للآلاف الوسائل والأدوات. "[1]

لكن في الوقت الذي يعلي فيه ناييس من تفرد الذات الإنسانية نجد كثيرا من فلاسفة البيئة أمثال: سنجر وتايلور في معرض نقدهم لغطرسة **مركزية الذات الإنسانية** في تعاملها مع عالم الموضوعات يستندون إلى نظرية التطور الداروينى التي تؤكد أن الإنسان ينحدر من أصول حيوانية فهو نتاج لتطور بيولوجي طويل وينطلقون من هذه النظرية للإلغاء اي سمو عقلي أو بيولوجي أو حتى لغوي للإنسان على باقي الحيوانات فامتلاك العقل واستخدام الأدوات واللغة وحتى الشعور بالزمان هي خواص مشتركة بين الإنسان وبعض الحيوانات من وجهة نظر بيتر سنجر إذ يرى أن بعض القردة تستطيع أن تتواصل معنا باستخدام اللغة الإنسانية وتستخدم بعض القرود أيضا إشارات لتشير إلى أحداث الماضي والمستقبل، لا يقف سينجر وحيدا في صف القائلين بالمساواة بين البشر والحيوانات وإلغاء الامتيازات بينهما بل ينظم إليه تايلور قائلا :" تقف العلوم البيولوجية الحديثة في وجه الانفصال الكلي بين البشر والحيوانات فالثديات لا تعرض فقط أدلة الشعور باللذة والألم لكن سلوكها الخارجي وبنية المخ والجهاز العصبي يشير إلى انها تمتلك العديد من المشاعر مثل الخوف والغضب والقلق انها تمتلك أيضا قوى للتفكير والذكاء فبالتأكيد لا يعد غرض تايلور وسينجر هو التقليل من شأن الإنسان بل تحضيره من مغبة التطاول على الأصول انحدر منها، ومن تطاوله على الأنظمة الإيكولوجية التي يعيش في كنفها فأصبح يهدد توازنها واستقرارها، للأن هذا سيسعف به وبها إلى نهاية المطاف فهدفهما هو الحد من الشعور بالتفوق والتعالي ضمانا للاستمرارية الحياة والعيش في انسجام مع الطبيعة وباقي الموجودات الحية.[2]

اذن ينطلق الفلاسفة والمفكرون الذين يدعون **للمساواة بين البشر والحيوانات** من تقدم علوم البيولوجيا وما تذهب إليه من وجود تشابهات كبيرة بينهما في البنية والوظيفة

[1]. ارني ناييس ، نقلا عن وجدي خيري نسيم، مرجع سابق ص 1483.

[2]نفسه 1484 .

وكذلك من تقدم العلوم السلوكية التي تدعي مقدرة بعض الحيوانات على التعلم وامتلاكها لغة للتواصل واستخدام الأدوات، لكن امتلاك اللغة واستخدام الأدوات ليس مسوغا كافيا من وجهة نظر **جيمس تريفل** لإلغاء التمايزات بين البشر والحيوانات فهناك فرق شاسع جدا في صنع الآلات بين حالات الشمبنزي الذي يستخدم عصا لجمع النمل الأبيض وحالة الإنسان الذي يخترع طائرة نفاثة أو ناطحة سحاب، فمن قمة سلمنا سننظر نحو الأسفل عبر امتداد الأفرع وسنرى أنفسنا كنتيجة فريدة للتطور العضوي تشبه وفي الوقت نفسه تختلف عن كل ما عداها من أشكال الذكاء والوعي في هذا الكون [1].

ويضيف **نابيس** بعدا جديدا إلى **تريفل** يؤكد فيه تفرد الإنسان على باقي المخلوقات ليس من منظور بيولوجي وحسب بل من المنظور القيمي والأخلاقي فحسب وهذا البعد هو الأهم من وجهة نظره للموجودين البشرية وحدها على هذا الكوكب هي من تصيغ معاييرا أخلاقية عن الحقوق المتساوية، نقول نعم يمتاز الإنسان بالفعل عن باقي المخلوقات وكون بعض الحيوانات تتمتع بقدر من الذكاء أو لديها بعض المهارات فقد يسهم هذا في الحفاظ على حياتها وليس تطويرها أو الارتقاء بها كما هو الحال لدى الإنسان فالإنسان وحده هو صاحب رسالة العقل والعقلانية وهو وحده عمن سواه القادر على تجاوز الأزمات وحلها بفضل امتلاكه للعقل والحكمة رغم ان الإنسان يحظى بمزايا لا تحظى بها غيره من الموجودات الأخرى، لكن لا تعد هذه المزايا بالنسبة **لنابيس** معيارا للأفضلية والسمو أو مبررا للانفصال عن المملكة الحية واستغلالها وتسخيرها لتحقيق مصلحته، فامتلاك الإنسان العقل أو النفس الخالدة وارتقاءه في السلم التطوري لا يمنحه حقوق أسمى من الكائنات الأخرى، بل يفرض عليه الكثير من الواجبات اتجاهها وهذا ما يؤكده نابيس :" لا يمكن للإنسان أن يقتل الموجودات الأخرى لأن قيمته أعظم من قيمتها".[2]

---

[1] . نفسه ، صفحة 1484 .

[2] . Arne Naess, pour une Eco Sophie, ibid p113.

يشدد ناييس في هذا النص على رفض الهيراركية (النظام السُلمي) بين الكائنات الحية، فالكائنات جميعها بما فيها الإنسان تتساوى من حيث المبدأ في الحق في الحياة وفي تأكيد ذاتها وفي امتلاكها للقيمة الغريزية.

ان اختلاف ناييس عن فلاسفة البيئة الآخرين وخاصة فيما يتعلق بموقفه من الحداثة وتفرد الإنسان لا يلغي وجود تشابهات كثيرة بينهم قد تصل في بعض الأحيان إلى حد التطابق في الكثير من التصورات الخاصة بنقد الأنظمة الاقتصادية الحالية وغزو القيمة الغريزية لكل الكائنات الحية وضرورة تأسس مجتمعات قابلة للبقاء ووضع حقوق أجيال المستقبل في الاعتبار وسوف نوضح فيما يلي أبرز ملامح فلسفة ناييس الإيكولوجية لنعرف مدى جدة اسهاماته ومدى اختلافه واتفاقه عن الآخرين في هذا المجال.

إن *تقديم **الايكولوجية العميقة** كمقاربة في إطار فلسفي منظم* كان غائبا في المناقشات حول الايكولوجيا بنظرة شاملة، فالمقاربة انطولوجيا تطرح علينا إعادة النظر في فكرة الانفصال بين الانسان والطبيعة، والروحي والمادي، فهي مقدمات وصفية لتحقيق الانسجام بين الانسان والعالم والهدف الأساسي هو كبح الازمة البيئية من خلال مساعدة الافراد على الاستنباط المتسق انطلاقا من معتقداتهم الأساسية.[1]

إذ يميز ناييس بين الإيكولوجيا والحكمة الإيكولوجية، فالإيكولوجيا علم له منهج محدد مثله مثل باقي العلوم الطبيعية ويقوم هذا المنهج في جوهره على الملاحظة والوصف والتفسير اما الحكمة الإيكولوجية فهي اسلوب في الحياة (style de vie) وسلوك جديد في الحياة وفي التعامل مع الموجودات الحية غير الإنسانية فعلم الإيكولوجيا لدى ناييس تعنى بدراسة الظروف الحيوية المؤثرة في تفاعل الكائنات الحية مع بعضها البعض ومع عالم

[1]. مايكل زيمرمان، فلسفة البيئة من حقوق الحيوان الى الايكولوجيا الجذرية، مرجع سابق. ص 301 .

الأشياء المحيطة بها، كما أنه معنى أيضا، بدراسة العلاقات بين الموجودات باعتبارها مكونا جوهريا في بقاء هذه الموجودات.[1]

نلاحظ أن ناييس لا يخرج في تعريفه لعلم الإيكولوجيا عن التعريف الذي صاغه الفيلسوف والعالم الألماني **أرنست هيكل** (1834–1919)، بأن علم الإيكولوجيا يهتم بدراسة التأثير المتبادل بين الكائنات الحية وبعضها وعلاقتها بالوسط المحيط. [2]

لكن لا يقتصر الأمر على **جون بيتي** عند اختزال وظيفة علم الإيكولوجيا في رصد علاقة التأثير والتأثر بين الكائنات الحية وبعضها وبين بيئتها، وحسب بل يعطي جون بيتي للإيكولوجيا دورا جديدا يتجاوز هذا الرصد إلى التنبؤ بالظروف الحيوية التي تؤدي إلى ظهور أنواع محددة واختفاء أنواع أخرى وهنا يضع جون بيتي عاتق علم الإيكولوجيا مهمة توضيح العوامل الموضوعية والظروف الحيوية الأمثل، لنمو وتنوع الأنواع الحية بل وانقراضها حال استمرار عدم التوازن الحادث داخل المجال البيئي.

ورغم الأهمية العظمى للعلوم الإيكولوجية في التأكيد على أن علاقة الكائنات الحية ببيئتها تعد عاملا حاسما في استمرار الحياة من عدمه الا ان هذه العلوم لا تقدم معاييرا أخلاقية لما ينبغي أن يكون عليه السلوك الإنساني تجاه هذه الكائنات وتجاه البيئة، فالسائد أن مهمة العلم هي تقديم الحقائق والوقائع الموضوعية بعيدا عن التقييمات الموضوعية ورغم ذلك لا يستطيع أحد أن ينكر أن التقدم المطرد في أدبيات وفلسفات الأخلاق البيئية ما كان ليحدث لولا النتائج الهامة التي يقدمها هذا العلم.

فنتائجه وتوصياته تحمل بين طياتها الكثير من الصيحات التحذيرية تجاه الأزمات الحيوية الراهنة وهذا ما يؤكده ناييس قائلا: "تعتمد الحركات الإيكولوجية على نتائج الأبحاث في علم الإيكولوجيا."

---

[1] وجدي خيري نسيم، الايكولوجيا العميقة عند ارني ناييس، 1485

[2] . نفسه، ص1485.

ليس ناييس فقط من يقر بفضل علم الإيكولوجيا على تطور فلسفات البيئة، بل تتفق معه أيضا، **كريستين فريشت،** فرغم تحفظها على فكرة أن الإيكولوجيا علم يتسم بالدقة واليقين المطلق كباقي العلوم الا انها ترى " أن هناك طرق مهمة يمكن أن يقدم فيها علم الإيكولوجيا الدعم لفلسفات البيئة."

على أية حال اذا كانت وظيفة العلوم الإيكولوجية هي توضيح الحقائق، فإن مهمة الحكمة الإيكولوجية أو كما يطلق عليها ناييس الإيكوصوفي(***Ecosophy,***) هي توعية البشر بالمخاطر المترتبة على فرط تدخلهم في عمل الأنظمة الإيكولوجية وتوعيتهم بضرورة إحداث تغيرات جذرية في الكثير من القيم السائدة في المجتمعات الصناعية، ان هدفها هو وضع مبادئ للعيش في وفاق مع الطبيعة والكائنات الأخرى يقول ناييس :" أقصد بالحكمة الإيكولوجية فلسفة للانسجام والتوازن ونوع من الحكمة نضع المعايير وقواعد السلوك والافتراضات فليست مهمتها شحب التلوث، ونضوب المصادر، والزيادة السكانية، لكن شغلها الشاغل هو إعلان أولوية القيم، اذن ليست الحكمة الإيكولوجية بالنسبة لناييس مجرد مجموعة من المعارف والمعلومات العلمية، بل حدس قيمي يحفز الروح والمشاعر والعقل على الاهتمام ببيئتنا ومسكننا الأرضي ".[1]

انطلاقا من الدور الهام الذي يعزوه ناييس للحكمة الإيكولوجية في الخروج من المشكلات الراهنة نجده يميز تمييزا حاسما بين تيارين للحكمة الإيكولوجية وهذان التياران على طرفي نقيض الأول هو تيار الإيكولوجية العميقة، والاتجاه الذي يسعى للإعادة صياغة علاقة الإنسان بالطبيعة والكائنات الأخرى مما يحقق التوازن بينهم والثاني هو تيار الإيكولوجيا الضحلة (السطحية) الذي يبحث عن حلول مؤقتة للأزمات والكوارث البيئية وهو بعيد كل البعد عن اتباع مسالك الحكمة القويمة.[2]

[1] نفسه ص 1486.

[2] نفسه ص 1487 .

المبحث الثاني / ارني نايس نحو تأسيس إيتيقا بيئية كونية.

لاشك أن تطور العلم التقني أحدث عدة مشاكل بيئية كان لها الأثر السلبي على الانسان والكائنات الحية الأخرى، لكن مع فلسفة نايس طرحت عدة إشكالات تتعلق بإعادة نظرتنا الايتيقية تجاه الطبيعة والكائنات غير الإنسانية وإعادة النظرة في الأسس الأخلاقية التي تكون نظرتنا تجاهها، فبعدما كانت الاخلاق هي تلك القواعد الآمرة والناهية التي تنظم علاقة الانسان بالإنسان بمنأى عن أي كائن اخر، فأن مع الايكوصوفيا الجديدة (او الحكمة الايكوصوفية كما يحلو لنايس تسميتها) أعيد النظر في أسس تلك الاخلاق الكلاسيكية، بنقلها الى مجال البيئة والطبيعة، وعليه يمكن ان نتساءل كيف اثرت ايكوصوفيا نايس في تأسيس ايتيقا بيئية معاصرة؟ وهل يمكن لتلك الاخلاق من تغيير نظرتنا وسلوكنا اجاه الطبيعة والكائنات غير الإنسانية؟ وما مآل ذلك عند المفكرين الاخلاقيين؟

أولا يمكن الإشارة انه بفضل حياة الجبال وعناصرها أصبحت أسلوب حياة شخصية بالنسبة الى نايس، الذي تمكن من بناء فلسفة على ارض الواقع، مؤسسة على مسار تمثلي لكل عناصر المجال البيئي للكائنات الحية وغير الحية، بفضل تلك الفلسفة يقحمنا في أسلوب حياته الذي وجدنا فيها منهل لاستلهامات رحبة، إن فيلسوف الايكولوجيا العميقة لم يتوقف أبدا ان يكون فضوليا، انه يغذي فكره من كل ما تفتح له الحياة كما ينهل من معارف الكتب وكل ظواهر الوجود،[1] ومن ثم يريد ان تصبح تجربته الايتيقية شاملة وكونية تصلح لكل البشر، أنه اشبه ببوذا وتعاليمه الكونية.

[1] . Mathilde Ramadier*, Arne Naess pour une écologie joyeuse*, domaine du possible, actes sud p 99.

ومن أخطر التبعات الناجمة عن العلم والتلوث البيئي، الذي هو نتاج حتمي للتقنية العلمية، فأن حاجة التقنية للطاقة الحرارية، وآلية استهلاكها تفترض فضاء خاصا للنفايات، فكانت ماء البحار، والأنهار الحل الأمثل لهذه الأزمة عند المؤسسات الكبرى[1]، كانت مصادر الطاقة الطبيعية هاجسا عند رواد الرأسمالية الصناعية، والتجارية، والذي طرح سؤالا أخلاقيا رئيسا هو: هل الغايات تمنح المشروعية للوسائل؟ وبدأ التساؤل عن الحق في بيئة نظيفة، وسليمة أمام الحق في ملكية الفرد لمؤّسسات اقتصادية، وتجارية، فبدأ السجال الفكري حول أخلقة البيئة، أو تبيئة الأخلاق، فكانت **الفلسفة الخضراء** أو التوُجه نحو اخضرار الفلسفة، لقد عمل التهميش والإقصاء الذي مارسته **المركزية الأخلاقية** في لزملاء لنا في الكون الكائنات النباتية، الحيوانية على تمادي بني البشر إهدار حقوقها في الحياة، على قاعدة افتقادها لملمح الإرادة الفاعلة، والعاقلة، وعلى قاعدة القيادة الغربية للمركز الحضاري في تاريخ البشرية نجد أن مظاهر الإقصاء، والعنف الممارس على الطبيعة الحية من تحصيل حاصل، إذ أن الإنسان الآخر، أو غير الغربي في مرتبة أقل الأنا الغربي، ولذا نجد أن الاهتمام بالبيئة الحيوانية ظهر متأّخرا.

ومن ثم يمكن اعتبار الأخلاق الجديدة التي تقترحها الفلسفة البيئية، أو أخلاقيات البيئة ثورة نظرية على مفاهيم، ونظريات فلسفية مارست سلطتها، ونفوذها على العقل البشري طيلة عقود من الزمن، وما نستشفه من هذه الدراسات أن ما ورثناه من أفكار أخلاقية ليست إلا اعتقادات، وأحكام خلقية نسبية، منحها البشر عبر السيرورة الزمنية نفوذا على أنفسهم[2].

لذلك تعد مرجعياتها التأسيسية الى مبدأ **اخلاقيات المركزية الأنثوبولوجية**، والتي طرحت عدة مناقشات وتساؤلات، والتي تناولت بالأساس السؤال التالي، هل من الضروري اعتبار الاخلاقيات البيئية اخلاقيات من نوع متميز؟ ام انها تباع الاخلاقيات الكلاسيكية؟

---

[1] . شريف الدين بن دوبة، نحو أخلقة البيئة مقال ورد في مجلة ....، ص 75.

[2]. شريف الدين بن دونة مرجع سابق ص 83.

ومن ثم بحق لنا التساؤل أيضا، هل أدت هذه المناقشات الى تقليل أي إجابة سلبية على الموقف وهو الاعتقاد بان الفئات القياسية للبشر كافية او كافية لتوجيه صنع القرار ، من ناحية أخرى قد ترقى أي رد اجابي الى الإشارة ان الطبيعة لها قيمة ذاتية وبعبارة أخرى فان مسألة تميز الاخلاق البيئية تعتبر مساوية لرفضها لمركزية الانسان، التي تعنى بها الاطروحة القائلة بأن البشر فقط هم من يحددون مكانا ذا قيمة أساسية ، ومن المعتقد ان الاخلاق البيئة لا يمكن اعتبارها اخلاقيات متميزة عن الاخلاق المعيارية إلا اذا وفقط، اذا كان يمكن ان تستند الى مبادئ تؤكد او تفترض مسبقا ان الكيانات الطبيعية غير البشرية تمتلك قيمة مستقلة عن القيمة الإنسانية، ويمكن الدفاع عن هذه الفرضية القائلة بان هذا التكافؤ خاطئ من خلال اظهار ان النقاش بين المركزية البشرية وغير المركزية ليس له الأهمية التي تنسب اليه عموما، طالما نجحنا في تسلط الضوء على الغموض الذي يسود في قلب هذا النقاش سيبدو واضحا ان لموقف غير المتمركز حول الانسان ليس الأساس المناسب الوحيد لأخلاقيات بيئة حقيقية.[1]

وهذا يحيلنا الى أطروحة الثنائية الاخلاقية بين الانسان والبيئة في مقابل اللافردية ، باعتبارها أطروحة حاسمة في تحديد الاخلاق البيئية وباعتبارها اخلاقا متميزة، والدفاع عن فكرة انه لا يمكن تحقيق برنامجها بنجاح الا اذا لم يكن ذا نزعة فردانية، كما هو الحال مع النظم الأخلاقية المعيارية المعاصرة، من خلال النظر في الاثار المترتبة على هذه الاستنتاجات وعلى طبيعة وشكل الاخلاق البيئية، وقبل تطوير هذه النقطة يجب توضيح الطريقة التي نختبر بها اخلاقيات البيئة، أن الافراد الذين لديهم حساسية تجاه القضايا البيئية يؤمنون بوجود مجموعة من السلوكيات التي يحتمل ان تسبب ضررا للبيئة، ويفترض وجود اتفاق واسع بين هؤلاء الافراد حول السلوكيات التي يجب تضمينها في هذه المجموعة، على

[1] Hicham Stéphanie affaissa , ***éthique de l'enivrement, nature , valeur,*** édition librairie philosophique vrin ,paris, 2007 p 250

سبيل المثال قد يتنقد معظم الناس التخزين العرضي للنفيات السامة الزيادة الهائلة وغير المنضبطة في عدد سكان ،[1] و التدمير العشوائي لأنواع الأخرى وتلوث الهواء والماء وما الى ذلك، هناك سلوكيات أخرى يكن ان تكون ان طبيعتها الضارة قابلة للنقاش، و لان الغاية هي تطوير اخلاقيات بيئية مناسبة لأنشاء مجموعة من المبادئ التي يمكن للمرء ان يستنتج منه القواعد التي تمنع السلوكيات والتي يقوم بها جميع الافراد مشابهة للمشاكل البيئية من شانها ان تدرك انها ضارة لها،[2] وبالتالي فن مهمة تنقيح الاخلاق البيئية تتضمن الانتقال ذهابا وإيابا بين المبادئ الأساسية والسلوكيات التي تكون طبيعتها الضارة موضوع تساؤل، والسعي الى تعديل المبادئ وانتقاد الحدس الذي يكمن وراءه حتى يتم الحصول على تعديل بين المبادئ والسلوكيات المحضورة.[3]

وخلاصة القول، ان الاخلاق الكونية التي ينادي بها نابيس ذات طبيعة متفائلة عكس ما تراه التيارات الايكولوجية الأخرى المتشائمة والتي تنهل من فكر ما بعد الحداثة وفقد الثقة في هذا الانسان المعاصر، فالإنسان وفق تصور نابيس يمكن إصلاحه أخلاقيا وبإمكانه ان يعيش بألفة وتناسق مع البيئة والطبيعة، انه استنتاج ينم عن روح أخلاقية متفائلة ولكن هي اشبه بالطوباوية المثالية التي تنادي بما يجب ان يكون وليس مما هو كائن.

[1] Ibid 251

[2] Ibid 251.

[3] Ibid 251

خاتمـــــة

من خلال معالجتنا لموضوع أسس فلسفة البيئة المعاصرة عند أرني نايس وصلنا الى عدة نتائج وهي:

إن علم البيئة هو علم تجريبي وليد العلوم الطبيعية الحديثة لكن كأي علم يفتقد للبصيرة الفلسفية التي تطرح القضايا القيمية والروحية التي تؤسس لهذا العلم او ذاك، فكانت الحاجة الى ميلاد الايكوصوفيا (او الحكمة الايكولوجية) التي تفكر فلسفيا بالقضايا التي تطرحها الايكولوجية.

إن النظرة الأداتية والنفعية التي طبعت التفكير الإنساني جراء تنامي النزعة العلماوية (scientisme) كانت لها اثارا جدّ سلبية على الانسان والطبيعة، فبمقابل التطور المادي هناك تدهور بيئي، لكن الرهان هنا لا يعول على العلم لحل مشكلات العلم بل التعويل والرهان على فكر فلسفي جذري واصيل يعيد بناء نظرتنا للعالم والطبيعة وهنا بالضبط ما يعطي للايكوصوفيا مشروعيتها.

يعتبر ارني نايس اهم واكبر المفكرين الغربيين المعاصرين الذين طرحوا قضية الايكولوجية بشكل منهجي وفلسفي اصيل، ذلك من خلال العودة الى سؤال الأصل، ما الذي يجعل هذا الكائن "الذي يسمى انسانا" بمعزل عن مملكة الطبيعة ومن ثم ينصب نفسه راعيا لها؟ وكيف هذه الرعاية اتاحت له ان يعيث في الأرض فسادا، وهل بالإمكان إصلاحه؟

ارني نايس يقترح لنا فلسفة بيئة جذرية ينعتها بمصطلح " الايكولوجية العميقة" انها عميقة بطرحها للأسئلة الوجودية التي تعيد التأسيس لعلاقتنا بالطبيعة، والنظر اليها انها جزء من كينونتنا وليس بمعزل عنا.

الايكولوجية الفلسفية التي يقترحها نايس تنهل من أصول ميتافزيقة ضاربت جذورها في فلسفة سبينوزا وبالضبط في مبدأ وحدة الوجود، هذا المبدا تحقق التماهي بين ثنائية الانسان والطبيعة (البيئة) أضف الى ذلك التراث المسيحي أي تحقيق التماهي بين الانسان

والكون والاله، وبالتالي النظرة الواحدة في قلب التثليث قد يعيد تأسيس نظرة قدسية واخلاقية للطبيعة.

ان نابيس على عكس فلاسفة ما بعد الحداثة الذين يصبون جلّ سخطهم على انسان الحداثة ومخلفات التقنية، انه يحمل في طياته نظرة تفاؤلية رحبة وروح شاعرية رومانسية تعول علها لإصلاح علاقتنا مع الطبيعة، كما يدعون للعيش معها بألفة وانسجام في عقد ايتيقي جديد، إذ يخبرنا نابيس في اكثر من مناسبة أن العواطف تحمل قيم الحقيقة وليس العقل، خاصة في تعاملنا مع باقي الكائنات الحية والطبيعة، اننا نفهم روحها بالعاطفة والحب وليس بمنطق التحسيب العقلي والرياضي.

فهذا الوصيف الذي يعطيه نابيس يحمل نظرة نقدية مبطنة لإنسان الحداثة، انسان المركزية الأنثروبولوجية (الانثروبوسين) التي تجعل من تعاليه على الطبيعة مشروعا للعبث بها، فاللانسان ليس مركز الكون بل هو جزء فقط منه وهذا الجزء لا يمكنه التواجد او العيش دون أجزاء الطبيعة الأخرى، ومن ثم علينا العودة الى الهوليزم (Holisme) أي تنظر للوجود نظرة شامل تجمع الانسان والطبيعة بكل عناصرها، أنها اشبه بنظرة الانسان البدائي للطبيعة الذي كان يعيش في نظام ايكولوجي شامل وهو المذهب الذي تبناه نابيس " يعني احترام القيمة الذاتية لكل الكائنات الحية بغض النظر عن مدى فائدتها للإنسان."

اذن هناك دعوة إلى إعادة هيكلة جذرية للمجتمعات البشرية الحديثة وفقا لفكرة احترام الطبيعة.

كما ان ايكوصوفيا نابيس هي دعوة الى تأسيس ايتيقا جديدة تكون ذات طابع شمولي، تشمل علاقة الانسان بالإنسان وعلاقته أيضا بالكائنات الأخرى، تلك الكائنات التي تم اقصائها من سلم القيم الأخلاقية طويلا بسبب المركزية الأخلاقية، والمركزية الذكورية، وبالتالي تتضمن اسس الايكوصوفيا عنده مبدأ أخلقة الطبيعة وهي بمثابة الآفاق التي يحملها إلينا نابيس من خلال فلسفته.

وأخيرا الحكمة البيئية التي يدعونا اليها نايس تعيد معنى لإنسانية الانسان (النزعة الإنسانية الحقيقية) التي فقدناها جراء العلم التقني.

كما يمكن القول في الأخير، ان هذا العمل البحثي هو عبارة عن جهد شخصي انساني لا يخلو من الهفوات والاخطاء فنرجو من الأساتذة القراء ان لا يبخلوا علينا بتوجهاتهم وتصويباتهم قصد تصحيح اخطائنا عله يكون عملنا هذا لبنة لبحوث فلسفية قادمة تهتم بشأن الفلسفة البيئية.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر باللغة الأجنبية

1- *Arne Naess* ***, une écosophie pour la vie, (introduction à l'écologie profond)****,trd par Naid Mubalegh, édition Seuil, 2020,*

2- *- Arne Naess* ***La realisation du soi,*** **Spinoza, le bouddhisme et l'écologie profonde,** *trd par Naid Mubalegh, édition Seuil,2018.*

المراجع باللغة الأجنبية

1- Mathilde Ramadier*,* ***Arne Naess pour une écologie joyeuse***, domaine du possible, actes sud

2- Hicham Stéphanie affaissa , ***éthique de l'enivrement, nature , valeur,*** édition librairie philosophique vrin ,paris, 2007

3- Christophe Monnot et Frédéric Rognon***, La Théologie verte*** ,Labor et Fédes ,2021 par corlet, France.

4- François Chomarat, ***Lecture critique du livre d'Arne Naess***, Revue scientifique sur la conception et l'aménagement de l'espace,

المراجع باللغة العربية

1- د، شكري إبراهيم المحسن، **مقدمة في علم البيئة ومشكلاتها**، منشورات كلية الآداب جامعة البصرة، العراق، ط1، 2017.

2- ـ مصطفى النشار، **مدخل الى فلسفة البيئة، المذاهب الايكولوجية المعاصرة**، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط4، 2017،

3- هنريك سكوليموفسكي، **فلسفة البيئة**، ترجمة ديميتري افيرينوس، دار الابجدية للنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1992.

4- د. يمنى الخولي، تصدير ترجمتها العربية لكتاب: ليندا جنى شيفرد، **أنثوية العلم-العلم من منظور الفلسفة النسوية**، سلسلة عالم المعرفة الكويت 2004م،

5- كارولين ميرشانت، **موت الطبيعة، ضمن كتاب: مايكل زيمرمان، الفلسفة البيئية**، ترجمة لمعين شفيق رومية، الجزء الثاني–سلسلة عالم المعرفة الكويت 2006م

6. يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، القاهرة، 2012،

المذكرات والرسائل الجامعية

1- محسن محمد امين قادر، **التربية والوعي البيئي وأثر الضريبة في الحد من التلوث البيئي**، رسالة ماجستير، كلية الإدارة والاقتصاد الاكاديمية العربية، الدانمارك،

2- نقيطة نعيمة، **الفلسفة والبيئة، راشيل كارسون ، روجر سيكروتون**، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، قسم الفلسفة، 2015/ 2016،

3- محسن محمد امين قادر، **التربية والوعي البيئي وأثر الضريبة في الحد من التلوث البيئي**، رسالة ماجستير، كلية الإدارة والاقتصاد الاكاديمية العربية، الدانمارك، 2009.

المجلات والدوريات

1- وجدي خيري نسيم، **الإيكولوجيا العميقة عند أرني نايس، دراسة في فلسفة البيئة المعاصرة**، مجلة كلية الآداب جامعة القيوم، 2021،

2- مصطفى النشار، ***النسوية الايكولوجية، مسعى نقدي لتطهير مبانيها ومعاثرها***، مقال في مجلة الاستغراب، العدد 19 صيف 2019

3- شريف الدين بن دوبة، **نحو أخلقة البيئة** مقال ورد في مجلة الاستغراب، العدد 19 صيف 2021.

المعاجم والموسوعات

1- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، المجلد الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978.

2- ابن منظور، **لسان العرب**، اعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت .

	الموضوع	الصفحة
	مقدمة	أ
	الفصل الأول: فلسفة البيئة بين التأسيس والتطور.	**08**
	المبحث الأول: ضبط المفاهيم والتصورات	**08**
	المبحث الثاني: تطور الفكر البيئي بين العلم والفلسفة	**17**
	المبحث الثالث: الاتجاهات المعاصرة في فلسفة البيئة	**21**
	الفصل الثاني: فلسفة البيئة عند أرني نايس	**32**
	المبحث الأول: المرجعية الميتافزيقية للايكوصوفيا عند نايس (وحدة الوجود و في التراث المسيحي)	**32**
	المبحث الثاني: مفهوم الايكولوجية العميقة في مقابل الايكولوجية السطحية	**46**
	المبحث الثالث: العاطفة في مقابل العقل لفهم الطبيعة أو فلسفة الحياة العاطفية لفهم الكائنات الحية	**56**
	الفصل الثالث: امتدادات ايكوصوفيا نايس في الفكر المعاصر	**61**
	المبحث الأول: نايس في مناظرة مع المفكرين الايكولوجين المعاصرين	**61**

	المبحث الثاني : ارني نايس نحو تأسيس إيتيقا بيئية كونية.	**67**
	خاتمة	**71**
	قائمة المصادر والمراجع	79
	الفهرس	**81**